بحاوِل.. أفهم!

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ

اسم الكتـــاب: بحاوِل.. أفهم!
تـأليـــــــف: أحمد عبدالعزيز أحمد
القـطـــــع: 14*20
تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح
سنـة النشـر: 2025
النـاشـــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 10285 / 2025
الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 630 - 2

دار الزيات للنشر والتوزيع
المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

ISBN 978-977-844-630-2

بحاوِل.. أفهم!

تأليف

أحمد عبدالعزيز أحمد

تنويه

هذا ليس عملًا أدبيًّا لأديب، أو رواية لروائي، ولا بحثًا علميًّا لعالم.. هذه الأوراق ما هي إلا خواطر واستفسارات لشخص لا يريد أن يسلم عقله لأحد، ويحاول أن يخرج من الظلام إلى النور، وأتمنى أن يفلح.

﴿✷ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣]

مقدمة

"فَلْيَصْمُتْ رِجَالُ اَلدِّينِ، فَهَذَا وَقْتُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ"

أَحْيَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِي عَقْلِي بَعْض الاستفساراتِ..

هَلِ الْعِلْمُ هُوَ الْأَصْلُ وَالْحَقِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الْمُجَرَّدَةُ مِنَ الشَّكِّ فِي عَالَمِنَا الْيَوْمَ؟

أَمْ أَنَّ هُنَالِكَ فَرْضِيَّاتٌ تُكْسَى بِلِبَاسِ الْعِلْمِ، وَمَا هِيَ إِلَّا هَوًى يَتَعَارَضُ مَعَ أُسُسِ الْعِلْمِ وَثَوَابِتِهِ؟

وَهَلْ أُسُسُ الْعِلْمِ وَثَوَابِتُهُ ثَمَرَةُ الْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ الْمُتَحَرِّرِ مِنْ أَيِّ قُيُودٍ وَالْتِزَامَاتٍ تُجَاهَ السَّمَاءِ؟

أَمْ هِيَ تَعَالِيمُ وَنُورٌ نَزَلَ مِنْ السَّمَاءِ لِإِدَارَةِ الْأَرْضِ وَعُقُولِ أَهْلِهَا؟

وَلِمَ التَّفْرِقَةُ دائمًا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ؟ وَهَلْ هِيَ ضَرُورِيَّةٌ لِاسْتِقَامَةِ الْحَيَاةِ؟

أَمْ هِيَ خُدْعَةٌ لِمَزِيدٍ مِنَ الْمُعَانَاةِ؟

أَنَا فَقَطْ أُحَاوِلُ أَنْ أَفْهَمَ...

الاستفسار الأول..

يا... اللّه

تخيل معي بعد وجبة دسمة في يوم بارد في فصل الشتاء، وأنت مسترخٍ على السرير تحت غطاء ثقيل.. والنوم يداعب عينيك.. تسمع من خارج غرفتك الصغيرة صوت الأذان، والواجب عليك ترك هذا الجو الدافئ وحالة الأسترخاء الجميلة، كي تعرِّض جسمك لمياه في الغالب تكون باردة، ثم تقف من غير غطائك الثقيل كي تصلي، والأفضل أن تصلي في البرد خارج البيت في المسجد! لماذا كل هذا؟؟

الإجابة التي سمعتها أذني هي أن الله أمرنا بالصلاة، وتارك الصلاة كافر سيدخل النار، وهنا تبدأ الحيرة.. الله!! النار!!

الله خالق هذا العالم، وخالق الإنسان لعبادته، ومن يرفض أن يعبده يُلقى في النار، ولكن هناك من ينكر هذا الكلام، ويروي قصة أخرى أجمل عن خلق الكون وخلق الإنسان، فأيهما أصح؟!

لذلك، وبما أنني أكتب هذه السطور رغبة في المعرفة والوصول إلى الحقيقة سأحاول معرفة أي الروايتين أصدق وأقرب للعقل والمنطق...

هل هناك من أنشأ هذا العالم ويديره.. أم أنه نشأ ويُدار ذاتيًا؟؟

الفرضية الأحدث والأكثر شيوعًا في الأوساط العلمية عن بداية الكون ونشأته هي فرضية الانفجار العظيم... بُنيت الفرضية على ملاحظةٍ تم اكتشافها في بدايات القرن

العشرين، وهي أن الكون يتمدد، وهذا يعني أنه بدأ من نقطة صغيرة لا تُرى (نقطة التفرد)، انفجرت، ومنذ انفجار هذه النقطة بدأ عالمنا في التكون والتمدد، وإلى هذه اللحظة وما بعدها فهو يتمدد.

وتقول النظرية أيضًا أن درجة الحرارة أثناء الانفجار كانت عالية جدًّا لا يمكن تخيلها. ومن انخفاض درجة الحرارة تلك على مدار ملايين، بل مليارات السنين، بدأت رحلة التكوين... بدأت البوزونات والكوركات تتكوَّن، ثم أجزاء الذرة، ثم تكوَّنت الذرة، وكانت أول ذرة تكوَّنت ذرة الهيدروجين. وساعد في تشكيل هذا الكون أربع قوى عظمى أساسية وهى: الجاذبية.. القوى النووية الكبرى.. القوى النووية الصغرى.. القوى الكهرومغناطيسية..

وطبقا للنظرية فتلك القوى كانت متحدة داخل نقطة التفرد، وبدأت في الأنفصال، ويجب أن أصدقك القول أنه حتى الآن لم يستطع العلم الوصول إلى صوره تجمع تلك القوى الأربعة معًا، أو ما يُسمى بنظرية كل شيء. THEORY OF EVERY THING الفرضية شيقة، وإن قرأ أي شخص تفاصيل عنها سيجد مزيدًا من الإثارة في انتظاره، ولكن دعنا الآن من الإثارة، فأنا أبحث عن الإقناع، وهناك بعض الاستفسارات التي تدور في رأسي

أولًا: ليس كل الوسط العلمي في يومنا هذا يؤمن بفرضية الانفجار العظيم، وذلك لعدة أسباب منها:

أولًا: ليس من العلم والمنطق أن يُوَلِّد الانفجار نظامًا كاملًا مرتبًا دقيقًا!! فالانفجار لا يُوَلِّد إلا فوضى..

وأن يولَد وينتج عن الانفجار نظامٌ، فهذا يتعارض مع قوانين العلم وأساسياته، مثل

القانون الثاني في الثيرموديناميك (الأنتروبيا)، فالانفجار هو تناثر عشوائي، وقانون الأنتروبيا والذي يُعتبر من أعمدة العلم المثبت يقرُّ وينصُّ على أن الفوضى والهرجلة تزداد في أي نظام مع الوقت، وليس العكس كما تفترض فرضية الانفجار العظيم.. الانفجارات لا تنتج إلا مزيدًا من الفوضى والدمار.

ثانيًا: عندما يسعى علماء الفيزياء والرياضيات لشرح نقطة التفرد التي انفجرت ونتج عنها هذا الكون، وكانت تجمع قوى الكون الأربعة معًا، تنهار كل النظريات العلمية، ولا يستطيعون الوصول لما يسمي بـ THEORY OF EVERY THING ومن أشهر هؤلاء العلماء الذين قضوا وقتًا طويلًا في هذه المحاولات هو العالم ستيفن هوكينج.

ثالثًا: من أساسيات العلم ومبادئه أن لكل شيء سببًا.. وإلى يومنا هذا لم يستطيع أحد تحديد سبب الانفجار العظيم، وأي شيء في العلم بلا سبب واضح لا نستطيع أن نجزم بصحة فهمنا له تمامًا... حاول بعض العلماء اليوم إيجاد سبب للانفجار، فذهبوا إلى افتراضات أبعد منها، أنه كان هناك كون يسبق كوننا،وانتهي بسبب ثقب أسود كبير، كُبرت كثافته فانفجر، مما أدى إلى ظهور الكون الذي نعيش فيه الآن.. ولكن هذا التفسير ما هو إلا هروب، لأننا لا نعلم شيئًا عن الكون السابق، فننتقل من متاهة أصغر إلى أكبر!

وللأسف هناك المزيد من الاستفسارات...

من أسباب ظهور تلك النظرية في ثلاثينيات القرن الماضي، هو كما قلنا ملاحظة تمدد الكون التي بدأت على يد العالم الأمريكي هابل، وما زاد من حظوظ هذه الفرضية هو اكتشاف إشعاع الخلفية الكونية، أو التشويش الذي تراه في التلفزيونات القديمة

عند ضياع الإرسال.. وأيضًا نظرية الأنزياح الأحمر للعالم دوبلر، والتي تقول ببساطة أن الإشعاع كلما يقطع مسافة طويلة جدًّا في الفضاء، تقل طاقته، ويزداد طوله الموجي، إلى أن يقترب للون الأحمر صاحب أطول طول موجي.

كل هذه النظريات والعلامات والظواهر رُبِطَتْ بالانفجار العظيم من قبل أشخاص يؤمنون بهذه الفرضية، فقط دون خطوات علمية ملموسة تربطها بالانفجار.. إذن ما الفرق هنا بين هذه الفرضية وقول أحدهم أنك لا ترى الله، ولكن ترى آثاره وعلاماته في العالم المحيط بك؟! ففي كلا الحالتين أومن بشيء لا أراه، ولكن هناك من يربط بينه وبين ظواهر الكون... أنا أومن بشيء لا أعرف طبيعته، ولا من أين جاء؟ وما سبب مجيئه؟

فإذا قلت لأحدهم كيف وأين ومتى أتى الله؟! فسيقول لي أن المخلوق لا يستطيع إدراك الخالق، فنحن إلى الآن لا نستطيع إدراك الروح التي في أجسادنا، فكيف لنا أن ندرك نافخ الروح؟! ثم يباغتني بقوله كيف وأين ومتى جاءت نقطة التفرد التي أنتجت الكون؟! والأخطر أنه سيطعن في أسس الفرضية بالعلم، وبمعتقداته التي هي أسبق وأكثر ترتيبًا!

من يقوم من تحت غطائه الدافئ ويتعرض للمياه الباردة خوفًا من عذاب القبر المظلم وحريق النار، سيقول إن الله خلق الكون في ستة أيام، ولا يهم الوقت، المهم أنه ستتماشى مفاهيمه مع أساسيات العلم التي اختلفت مع الانفجار العظيم، عندما سيقول لي أن ربه قال له في سورة الأنبياء: «**أَوَلَمْ يَرَ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ٣٠**»

وهذا يعني أن السماوات والأرض كانتا شيئًا واحدًا مثل نقطة التفرد، ولكن حدث هنا التكوين بأمر من أحد، وليس انفجارًا، فنتج نظام كامل بأمر من خالق، وليس صدفة انفجار (الأمر الذي لا يناسب العلم)، ولا تنسى الجزء الأخير من الآية، وهو أن الماء هو المسؤول عن وجود الكائنات الحية... فقط في آية واحدة علمت كيف بدأ الكون، وكيف خُلقت الكائنات الحية، والغريب أنها تتماشى مع العلم ونظرياته، فالعلماء يقولون أن أول المخلوقات بدأت في الماء، وأن الأكسجين الذي نحيا به على الأرض من الماء، حتى إن المفتاح لإيجاد كوكب به حياة هو الماء.. هل يوجد على سطح هذا الكوكب ماء أم لا؟؟ وحتى إذا اختلفت مع كل هذا، فلا نستطيع إغفال حقيقة أن كل كائن حي به نسبه من الماء.

الأكثر خطورة هو أن هذه الآية تسبق تلك العلوم والإمكانيات الحديثة المتطورة بأكثر من ألف سنة!! فهل من يساعدني في الشتاء قد اقترب!

ويجب أن نتقبل حقيقة أخرى، وهي أن العلم بدأ يؤمن بفرضية الانفجار العظيم منذ ثلاثينيات القرن الماضي، عن طريق تلسكوبات الفلكي هابل الذي لاحظ أن الكون يتمدد.. ولكن هناك من سبق هابل بأكثر من ألف سنة، وذكر ذلك في سورة تسمى الذاريات:

«وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧»

وسيختتم أحدهم الكلام عن هذه الفرضية بالآتي:

فرضية الانفجار العظيم فرضية علمية، ولكنها لا تتماشى مع ثوابت العلم وأساسياته.. لم يرها العلماء بأعينهم، ولا يعرفون طبيعة نقطة التفرد قبل الانفجار، ولا سبب الانفجار، ولا من أين أتى من الأساس!! والعلماء أثبتوا أن هذا الكون له

ثوابت تحكم ثبات الحياة واستمرارها كما قال ستيفن هوكينج: "الحقيقة اللافتة أن قيم هذه الأرقام تبدو مضبوطة بدقة شديدة للسماح بنمو الحياة"، أيْ إن أيَّ تغيير في هذه الأرقام سينهي هذا الكون! فهل الانفجار هو من أوجد هذا الأنضباط وهذه المعايير الدقيقة؟؟ هل تتفق الصدفة مع الدقة؟! سأجيب عليك، ولكن بلسان العالم الذي حصل على جائزة نوبل ستيفن وينبرج: "إننا اليوم في أزمة بسبب هذا البرهان"، ولكن لماذا توجد أزمة؟ فالفرضيات العلمية أحيانًا تخطئ وتصيب، وهذا يحدث دائمًا، ولكن الأزمة أنك لا تستطيع -ورغم هذا الكم من الفرضيات- أن تخفي وجوده وبصمته بالعقل والمنطق... الله -سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز الأخير للناس القرآن، شرح كيف خلق الكون، وبدون أي تناقض مع النظريات وثوابت العلم... فأنا أومن بالله دون أن أراه، ولكن أرى أثره، وأرى صدق كلامه في كل وقت، وعلى يد العلم قبل أي شيء... ولكن يوجد مَن له مشكلة مع هذا، يوجد من يغير مبادئه وآراءه فقط لإنكار هذه الحقيقة الثابتة، ولا يهمه أي شيء سوى إلغاء الله من قلوب خلقه، حتى لو استبدله بأي شيء! حتى لو الوهم!! فرضية الانفجار العظيم لا تلغي وجود خالق، بل تلغي العلم ذاته؛ لأنها تحطم كل أساسياته من أجل الوهم!!

"التفسير الوحيد لنشأة الكون بهذه الطريقة المنظمة والدقيقة، هو وجود إله تعمَّد خلق كائنات حية مثلنا".. ستيفن هوكينج في كتاب «تاريخ موجز للزمان».

"يوجد بالنسبة لي دليل قوي أنه هناك شيء ما يحث وراء كل هذا يبدو الأمر وكأن أحدهم قام بضبط أرقام الطبيعة بصورة دقيقة لإنتاج الكون" الفيزيائي بول دافيز.

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) ﴾ [الفرقان: ٢]

بعد انتهاء هذا الكلام الكثير أصابني الصداع، وأحسست بألم في أسناني فذهبت إلى الدكتور الذي بدوره قال لي أني أعاني من التهابات في اللثة بسبب ضرس العقل.. وبعد أن خرجت من عنده كان فمي يؤلمني، ولا أستطيع الكلام جيدًا.. جلست مع أحد زملائي، وتحدثت معه عن مشكلة أسناني، فأخذنا الحديث وأخبرني أنه مع الوقت سيختفي ضرس العقل من أفواهنا! وبسبب الألم الذي سببه لي ضرس العقل استهواني هذا الكلام، فاستفسرت عن السبب! فأجابني بأنه لم يعد له حاجة في أفواهنا، لأن أهميته كانت في الماضي عندما كان يأكل الإنسان طعامًا غير مقطع ومطهي جيدًا، فكانت أهمية ضرس العقل هي تقارب الضروس والأسنان من بعضها، ومنع وجود فوارق بينها تعلق فيها بقايا الطعام.. أما الآن فالطعام يُعدُّ جيدًا، ويُقطع إلى أحجام مختلفة، فأصبحت احتمالية تعلق الطعام بين الضروس والأسنان أقل، وهذا مثال حي على نظرية التطور لداروين التي يرفضها الجهلاء!!

أعجبتني الجملة الأخيرة، وأحيت بداخلي أحلامًا ماتت بعد أن فشل الانفجار العظيم في تحقيقها، ووجدت ضالتي في فرضية داروين، وذهبت لأقرأ عنها المزيد، ووجدت أنها تتكون من ثلاث نقاط رئيسية:

أولًا: يحدث تغيير مع الزمن في بعض صفات الكائنات الحية، نتيجة لتغيير في الطبيعة، وهو ما يُسمى بالانتخاب الطبيعي، ومثال على ذلك: مع حدوث تغيير وانخفاض في درجات الحرارة، الخراف ذات الصوف السميك هي التي استطاعت التعايش مع التغيرات الجديدة في الطبيعة، وبالتالي هي التي امتلكت الفرصة للتكاثر، وبالتالي ستكون الخرفان في الأجيال القادمة ذات صوف سميك، وهذا يعني أن الطبيعة اختارت الخرفان ذات الصوف السميك، وهذا هو الانتخاب الطبيعي.

ثانيًا: إن كل الكائنات الحية تنحدر من أصل واحد، فهي مثل الشجرة التي بدأت من بذرة واحدة، لها فروع كثيرة، تُمثل مختلف أنواع الكائنات الحية.. فهذه الشجرة تبدأ بالكائنات أحادية الخلية في قاع المحيط، ثم كائنات ثنائية الخلية، ثم كائنات متعددة الخلية، ثم كائنات أكثر تعقيدًا، ثم الكائنات البرمائية، ثم الكائنات البرية، ثم الطيور، ثم الثدييات، وأخيرًا الإنسان.

النقطة الثالثة، والأهم بالنسبة لي في هذه الفرضية هي أن الانتخاب الطبيعي هو المسؤول الوحيد عن تطور الكائنات دون أي تدخلات أخرى، فالانتخاب الطبيعي هو المسؤول عن تطور الإنسان من كائنات أحادية الخلية على مدار ملايين، بل مليارات السنين.

وهذا يعني أنه ليس هناك من ندين له بالفضل في خلقنا ومنحنا العقل والتفكير والوعي ونشكره على ذلك ونطيعه في كل أوامره.

وأخيرًا وجدت ما أتمناه، ولكن كالعادة سرعان ما تحوَّلت السعادة إلى قلق وحيرة مجددًا، وجاءت في رأسي استفسارات كثيرة، فالمراهنة على الفناء أو الحساب بعد الموت تستحق التأكد الكامل مليونًا بالمئة.. فبحثت مجددًا للتأكد من الفرضية، فتعالَ أخبرك ماذا وجدت:

السبب وراء أن داروين كتب هذه الفرضية في كتابه الشهير "أصل الأنواع" هو رؤيته لعصافير تُسمى عصافير الجلايجوس أو عصافير داروين!! ولاحظ داروين أن أحد هذه العصافير حدث له تغيير في منقاره ليتماشى مع طبيعة الجزيرة التي يعيش عليها ولتسهل عليه عملية إيجاد الطعام، فأصبح لديه طفرة تميزه عن بقية أنواع الجلايجوس.. ولكن ما استوقفني هو أن العصفور ما زال عصفورًا!! لذلك يجب أن

أفهم وببساطة كيف يمكن لكائن أن يتحول لكائن آخر؟؟ والإجابة ببساطة من خلال حدوث تغيير في الحمض النووي!

الأحماض النووية هي التي تقوم بتخزين المعلومات وترجمتها في مختلف الكائنات الحية، وتوجد في نواة خلايا الكائن الحي، وتشبه السلم اللولبي المزدوج، وتتكون من شريطين، وهو شكل الكروموسومات الحاملة للصفات الخلقية والجسدية للكائن الحي.

يتكون ذلك الحمض النووي من النيوكليوتيدات أو القواعد، وهي أربعة نيكوليوتيدات رئيسية: أدينين.. ثايمين.. جوانين.. سيتوسين..

الحمض النووي هو بمثابة المبرمج للخلية، فهو المسئول عن إعطاء الأوامر لمصانع الخلية لإنتاج الأحماض الأمينية، التي بدورها تشكل البروتينات التي يحتاجها جسم الكائن الحي، كي ينمو ويقوم بوظائفه ويأخذ شكله الخلقي.. والحمض النووي هو أيضًا المسؤول عن توريث تلك الصفات من جيل إلى جيل. ولكن كيف يصدر الحمض النووي أوامرَ مختلفةً من كائن لكائن، أو من عضو لعضو داخل نفس الكائن لإنتاج الأحماض الأمينية المختلفة التي تختلف حسب الاحتياج من جسم لآخر، ومن عضو لعضو؟؟

هذا يحدث بسبب اختلاف ترتيب القواعد التي ذكرناها في السلم الحلزوني.. فاختلاف ترتيب القواعد سيصدر عنها أوامر مختلفة للخلايا، لإنتاج أحماض أمينية مختلفة، وبالتالي بروتينات مختلفة من عضو لعضو، ومن كائن لآخر... ومعني ذلك أننا إذا أردنا أن نطور كائنًا من صورة إلى أخرى، على سبيل المثال إذا أردت تطوير عصافير داروين إلى حيوان بري، فيجب تغيير ترتيب القواعد في كل الأحماض النووية

الموجودة في كل خلية من خلايا هذه العصافير، وإعادة ترتيبها للتماشى مع ترتيب القواعد في الأحماض النووية في كل خلية من خلايا هذا الحيوان البري!!

فمن المسؤول عن إعادة الترتيبات؟؟ داروين قال إن المسؤول عن ذلك هي الطبيعة من خلال الانتخاب الطبيعي!! ولكن الغريب أن من بعد اكتشاف داروين لتلك العصافير من أكثر من ١٥٠ عامًا، لم تتطور تلك العصافير لكائن آخر، وما زالت عصافير، وكذلك كانت قبل داروين!!

وقبل أن أعطي العلم فرصته لنقض النظرية يجب أن أدافع واقول أن هذا التغيير في الحمض النووي للكائن المتطور لا يحدث مرة واحدة بل على مدار سنوات طويلة جدًّا ولكن حتى هذا لا يحمي النظرية من سيف العلم!! فقد رفض معظم علماء الرياضيات احتمالية حدوث تطور كائن لآخر.. بل ذهبوا لأبعد من ذلك، فقد استبعدو تمامًا فكرة تكوين أحماض أمينية جديده بالصدفة تساعد على حدوث طفرات تؤدي إلى التطور من كائن إلى كائن، وقام العالم ويندل بيرد في كتابه Origin of species Revisited:

(The theories of evaluation and of Abrupt Appearance)

بحساب احتمالية نشأة بروتين الكولاجين بالصدفة، وهو بروتين مهم في تكوين الأنسجة الضامة في العضلات والجلد وأعضاء أخرى. فهذا البروتين يتكون من ١٠٥٥ حمضًا أمينيًّا.. فوجد أن تكوين ١٠٥٥ حمضًا أمينيًّا بالصدفة وترتيبهم بالشكل الذي يكوّن البروتين الوظيفي، فستكون الاحتمالية ١٠٥٤/١*١٠، وفي الرياضيات إذا قلَّ العدد عن ٥٠/١*١٠ يُعَدُّ رياضيًّا مساويًا للصفر! ويكفي أن تعرف أنه علميًّا عدد ذرات الكون ٨٠*١٠، وهذا ما جعل عالم الرياضيات فريد هوبل يقول إن احتمالية

ظهور بروتين وظيفي واحد بالصدفة من تكوينات الأحماض الأمينية هي مثل أن تملأ المجموعة الشمسية برجال عميان يحاولون الوصول إلى حل مكعب الروبيك في لحظة واحدة!!

كانت ضربة مؤلمة، ولكن سرعان ما تذكرت أن أصل الموضوع كان ألم أسناني وضرس العقل الذي أصبح يضمر تدريجيًّا بسبب التغيير الطبيعي (الانتخاب الطبيعي)، فهذا يعني أن أجسامنا ربما كانت بشكل مختلف في السابق، ومع التغيير الطبيعي بدأت أشكالنا تتغير بالتدريج، والأعضاء التي لا تستخدم ضمرت وتضمر بمرور السنين. والدليل على ذلك الزائدة الدودية والفقرات العصعصية التي تُعَدُّ بقايا ذيل أسلافنا، ومع الانتخاب الطبيعي لم تعد لها وظيفة فضمرت!!

ولكني لم أسلم من سيف العلم الذي طعنني ثلاث طعنات متتالية:

أولًا: ضرس العقل.. الأبحاث العلمية والجينية أثبتت أنه لا يوجد دليل جيني على أن ضروس العقل ستختفي من أفواه البشر، بل بالعكس؛ فالدراسات أثبتت أن عدم وجود ضروس العقل، أو إزالتها يؤدي إلى انحراف الضروس، ويزيد احتمالية الإصابة بالتهابات اللثة والأعصاب لدرجة أنه في عام ٢٠١٥ نشر علماء من لوس أنجلوس ورقة علمية تُؤكد أن ثلثي عمليات إزالة ضرس العقل في أمريكا غير ضرورية، بل قد تودي بحياة الفرد!!

ثانيًا: الزائدة الدودية... منذ عام ١٩٩٧ اتضح أن الزائدة الدودية لها دور مهم منذ تكوين الجنين في صنع عدد من هرموناته، وكذلك لها دور مناعي بالتداخل مع الجهاز الليمفاوي، للحماية من الهجمات البكتيرية الضارة، لما تخزنه من بكتيريا نافعة.. وقد تأكد دورها المناعي تحت الميكروسكوب الذي أوضح احتوائها على نسيج ليمفاوي

بنسب كبيرة، يشبه أنسجة موجودة في أجزاء أخرى من الجهاز المناعي.

ثالثًا: الفقرات العصعصية... وهي الفقرات الموجودة في نهاية العمود الفقري، وهي تحمل أنوية بدايات تكوّن الجنين، وهي عظمة في حجم الحبة الصغيرة، ولكنها خاصة بنمو الجنين، فأي تشوهات بها تسبب اضطرابات في نمو الجنين. وفي الحقيقة العلمية فإن الفقرات العصعصية ليست بقايا ذيل، ليس لها أي قيمة، بل لها دور كبير في نمو الجنين وتكوينه، وأيضًا لها دور كبير في حياة الإنسان، فهي تقوم بربط عدد مهم من العضلات والأربطة والأوتار.. ولها دور داعم في حمل وزن الجسم عند الجلوس، وخاصة عند الميل للخلف، فتقوم العصعصية بتلقي الجزء الأهم من وزن الجسم، وأيضًا تدعم العصعصية من الجهة الداخلية اتصال عدد من العضلات المهمة أسفل الحوض، وهذه العضلات لها دور مهم في عملية الإخراج.. كما تقوم بتثبيت الشرج في مكانه.. فأصبحت عملية إزالة العصعصية على أساس أنها أعضاء ضامرة ليس لها وظيفة للمرضى الذين يعانون من أمراض مزمنة في الفقرات العصعصية؛ عمليةً سيئة السمعة، لما لها من آثار جانبية سيئة، وذلك لأهمية تلك الفقرات كما ذكرنا!!

وهنا تبادر إلى ذهني سؤال: لماذا لم يتطور الإنسان إلى كائن أكثر رقيًّا، ولماذا لا توجد تطلعات إلى هذا التطور؟

(رغم أنه على حسب أنصار الفرضية، فالإنسان موجود من ملايين السنين، تطور من القردة، فلماذا لا يتطور لكائن أرقى تدريجيًّا؟! لماذا لا يوجد استعداد ودراسة لهذه الاحتمالية؟!)

الأسوأ من ذلك أني وجدت أنه من فترات طويلة كان دائمًا هناك علماء ذوو قيمة كبيرة يرفضون فرضية داروين، ولكن لم يكن الضوء مسلطًا عليهم أو على آرائهم.. وأشهرهم ألبرت ناجيرابولت الحائز على جائزة نوبل في الطب عام ١٩٣٧ لاكتشافه فيتامين سي!!

ولكن مع التقدم العلمي أصبح الرفض أقوى، وصوته أعلى، وأدلته لا حصر لها، وإلى يومنا هذا لا يوجد عالم أو شخص عادي يؤمن بفرضية داروين يستطيع إيجاد دليل مادي ملموس عليها، وعلى أن هناك كائنًا تطوَّر إلى كائن آخر بالدليل العلمي الملموس، وليس بالتلقين الأعمى، فعلى سبيل المثال عام ٢٠٠١ كان هناك قائمة من مئة عالم من معهد ديسكفري رفضوا علنًا فرضية داروين، ثم تم إنشاء موقع لهم عبر الإنترنت، يشترك فيه العلماء المعارضون للفرضية من خلال تسجيل درجتهم العلمية، وأدلة الاعتراض، ووصل عدد العلماء إلى أكثر من ألف!! وهناك المزيد من العلماء ممن يرفضون النظرية، ولكنهم يخافون على مناصبهم ومكانتهم العلمية، وللأسف هناك علماء اعترضوا على هذه النظرية، وتم فصلهم من مناصبهم!! هل هذا ما يسمونه الإرهاب؟!!

وأغرب من ذلك أن أنطوني فلو -وكل من يريد الراحة والمتعة مثلي يعرف من هو أنطوني فلو- قام في عام ٢٠٠٤ بالاعتراف بتخليه عن الإيمان بفرضية داروين، وأن هناك خالقًا مصممًا لهذا الكون، وإليكم أمثلة أخرى على علماء أنكروا وبشدة وبالأدلة فرضية داروين:

عالم الرياضيات والبيولوجيا الجزئية والفلسفة «ديفيد بيرلينسكي» من خلال مقال له في «مجلة كومينتاري» بعنوان «إنكار داروين» عام ١٩٩٦، ثم كتابه الأقوى عام

٢٠٠٨ «وهم الشيطان».

عالم الكيمياء الحيوية «مايكل دنتون»، والذي كان في السابق يؤمن بداروين، ولكن مع التطور في علوم البيولوجيا الجزئية ظهرت عنده عدة تشككات، ثم وضع كتابة الشهير «التطور نظرية في أزمة».

العالم «مايكل بيهي» متخصص في الكيمياء الحيوية، وأستاذ بجامعة ليهاي، صاحب كتاب «صندوق داروين الأسود» عام ١٩٩٦، والذي وضع دلالات علمية قوية على استحالة التطور التدريجي العشوائي عبر الزمن.

«وليم ديمبسكي» عالم الرياضيات، وفيلسوف أمريكي من أقوى معارضي داروين.

«جوناثان ويلز» عالم البيولوجيا الجزئية، تراجع عن إلحاده بسبب دراسته للبيولوجيا الجزئية، وأصبح من أعداء داروين، وصاحب كتاب «تصميم الحياة» مشاركة مع «ديمبسكي».

«جيري فودر» بروفيسور في الفلسفة وعلم الإدراك بجامعة نيوجيرسي، و«بيمو بياتلي بالمريني» بروفيسور الفلسفة وعلم الإدراك بجامعة أريزونا، ألَّفا معًا كتاب «لماذا لا تملك الخنازير أجنحة» عام ٢٠٠٧، ثم " what Darwin Got Wrong " ، ثم الكتاب الأقوى عام ٢٠١١ هل هذا كل شيء؟؟ للأسف لا، بعد بحثي أيضًا وجدت أن داروين يُهاجَم داخل المباني التعليمية.. ففي كوريا الجنوبية تم الإعلان عن وجود أخطاء فادحة في نظرية التطور وفي الحفريات التي زُعم أن لها علاقة بالتطور، فأعلنت وزارة التعليم الاستغناء عن تدريسها بالمدارس.

وفي بريطانيا وبولندا بدأ تدريس التصميم الذكي (وهو ما يعرف بوجود من يضبط وجود الحياة وتطورها ونشأتها) في بعض المدارس، عوضًا عن داروين.. وفي تركيا

أصبح هناك تضييق شديد على كتب ومنابع تدريس التطور، وأيضًا في المغرب تم حذف التطور من مقرر البكالوريا شعبة الأحياء عام ٢٠١٤. وأخيرًا في أمريكا تم عمل دراسة أثبتت أن ٩٠٪ من الأمريكيين لا يؤمنون بالتطور دون تدخل إله، وفي ولايات أمثال كنساس وتينسي تم التصويت على إسقاط نظرية التطور المتعلقة بأصل الإنسان، ويحق للمدارس الحكومية طرد أي مدرس يشرح نظرية التطور على أنها حقيقة علمية!!

في النهاية وجدت أن فرضية التطور لداروين، وفرضية الانفجار العظيم أشبه بالفرضية التي سأعرضها عليك الآن:

نحن نعلم أن الهاتف الجوال الذي بين أيدينا مصنوع من إطار بلاستيكي خارجي ولوحة إلكترونية داخلية من السليكون.. وأيضًا نعلم أن البلاستيك يُصنع من منتجات النفط، والسليكون يُصنع من الرمل، فهل تصدقني عندما أقول أن هذا الهاتف وُجِد وصُنع من خلال براكين وبرق ورمل، ووجدناه مُلقًى على الأرض بشكله الذي بين أيدينا، وأما عن نظام التشغيل فقد اكتسبه الهاتف مع الزمن!!

للأسف لن يصدق أي إنسان عاقل يحترم عقله هذا الكلام.

وأختتم حديثي عن نظرية داروين بكلمة للدكتور Eric Baptiste:

«لفترة طويلة من الزمن بُنيت هالة مقدسة حول شجرة الحياة!! ولكننا اليوم لا نملك أي دليل على أن شجرة الحياة صحيحة!»

وبينما أنا في عز يأسي أجلس أفكر بحزن، قرر أحدهم أن يقضي عليَّ بهذه الكلمات: هذه المرة الأمر يثير ضحكي أكثر من أي شيء آخر.. فأنت تريد أن تحرر عقل الإنسان من ظلمات الدين، وتنيره بالعلم ونظرياته الملموسة.. وكي تفعل ذلك تحول الإنسان

إلى حيوان! وهذا أسلوب منطقي، أحييك عليه، فالحيوانات لا تمتلك عقولًا، فمن الممكن تحفيظها أي شيء دون أن تراجعك فيه، حتى لو كان أمر مهينًا لها!! ولكن بالنسبة للإنسان الذي يحترم عقله وخلقته، سيكون الأمر صعبًا أن تضحك عليه بحفريات من ملايين السنين، تنسبها لمن تشاء (وسأثبت لك كذبها فيما بعد)، وبجمل جميلة ملقنة وملحنة جيدًا.. فالإنسان العاقل يجب إقناعه بالدليل والحجة، فهو من أنشا العلم الذي يتطلب الدليل على إثبات نظرياته، لذلك هذا الإنسان العاقل هو من أثبت أن أصحاب هذه الفرضيات هم من يريدون دفن عقل الإنسان، بدليل أنه مع تطور العلم تسقط تلك الفرضية حيوانية الأصل، والغريب أنه مع تطور العلم ونظرياته المثبتة يتفق أكثر مع كتاب الله القرآن الكريم.

كل ما تفعله أنت هو البحث عمَّا يحررك من عبادة الله، وتعتقد أنك بذلك تصبح حرًّا، حتى لو كنت حيوانًا، وهذا ليس غريبًا، فالحيوان هو من يريد أن يعيش للأكل والتكاثر والراحة فقط، ولكن أنت بهذا لا تصبح حرًّا، بل تصبح عبدًا لأسياد لا يرحمون وهم غرائزك وشهواتك، وأساتذتك الذين تنتظر منهم كل جديد كي تسمعه وتحفظه ولا تصدق غيره.

فكما تسخر مني لأني أعبد ما لا أرى، فأنا أريد منك أن تُريني ما تعبد وما تعتقد فيه.. أريد منك مثالًا ملموسًا واحدًا على تطور كائن إلى كائن آخر.. وأحب أن ألفت انتباهك لشيء صغير، وهو أن مع كل ما ذُكر في كتاب أصل الأنواع، وما ذُكر في الكتب والمقالات المختلفة التي نسفت فرضياته وحفرياته الوهمية، ومع كل ما يُقال عما يسمى بالتصميم الذكي، لم يخبرني أحد كيف أصبحت الخلية الأولى والقرد وداروين أحياء؟؟ ما الذي يفصل بين الجسد الحي والميت؟؟ بالطبع الروح! فمن أي فرضية

جاءت الروح؟؟ وأين ذهبت وتركت داروين جثة هامدة لا تستطيع الحركة ولا التفكير ولا الكلام؟! مع العلم أن بها نفس العضلات واللسان والقلب والمخ! كيف نشأت تلك الروح في الكائن وحيد الخلية والإنسان؟! وأين مكانها في الكائنات المختلفة؟؟ أين تذهب؟ ولمَ تذهب وتقف بعدها الأجساد عن أداء أي وظيفة؟ هل تختلف الأرواح من كائن لآخر؟! هل تختلف روح الإنسان عن روح القرد؟ أسئلة بسيطة، ولكن يقف العلم بكل ثوابته ونظرياته عاجزًا تمامًا عن إجابتها... ولكن هل تعرف لماذا؟ لأن الله - تعالى- قال:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]

اعترض كما شئت على الله وكلامه، (فهو من منح لك حرية الاختيار والاعتراض)، ولكن أرني أنك تستطيع تغيير كلامه، أرني دليلًا واضحًا يؤيد اعتراضك ويؤكد صحة كلامك.

تخيل أن كتاب داروين عمره ١٥٠ عامًا أو يزيد قليلًا، لم يصمد فيهم وتم تدميره بالكامل!! وتلك الآية منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، ولم تُزعزع أبدًا.. فلست أدري أين احترام العقول وتدمير العقول؟! أين الغيمان الحقيقي، وأين الإيمان الأعمى!!

لم أجد ما أقول، واضطررت إلى الاستماع للمزيد:

«المشكلة أن هناك الكثير ممن حفظ تلك الأفكار الشاذة على الطبيعة البشرية دون تفكير.. فقط يحفظها.. يحفظونها لأنها تتماشى مع أهوائهم، وتسمح لهم بالعيش بقانون الغابة، ولكن ما ذنب البشر العقلاء الذين يحترمون إنسانيتهم.. فدعني أخبرك ماذا فعلت تلك النظرية في العالم!! ماذا حدث ويحدث عندما ينسلخ الإنسان

من إنسانيته وعبوديته لله الذي كرمه وسخر له كل ما في الكون، ويختار أن يكون حيوانًا:

أثناء إصدار داروين لكتابه أصل الأنواع عام ١٨٥٩، ثم كتاب أصل الإنسان عام ١٨٧١.. كانت هناك فكرة وليدة تُسمى الشيوعية، وُلدت على يد «كارل ماركس» الذي أصدر ما سُمي بالبيان الشيوعي عام ١٨٤٨، ولكن هذه الفكرة لم تكتمل تمامًا وتقوَ شوكتها إلا بكتب داروين، إذ كتب ماركس لشريك الفكرة فريدريك إنجلز في التاسع من ديسمبر عام ١٨٦٠، أي بعد عام تقريبًا من إصدار كتاب أصل الأنواع، قال:

«خلال فترة وجودي للمحاكمة، وفي هذه الأسابيع القليلة الماضية، قرأت كل أنواع الأشياء، وقرأت كتاب داروين في الانتقاء الطبيعي، وعلى الرغم من أنه وصفه في نمط اللغة الإنجليزية الأصيل، فإن هذا الكتاب يحتوي على أساسيات نظرتنا للتاريخ الطبيعي» وكان إنجلز قد كتب لماركس في الثاني عشر من ديسمبر عام ١٨٥٩ بعد صدور كتاب أصل الأنواع بشهور قال له:

«داروين الذي أقرأ له الآن رائع»، وبعد أن وجدت الماركسية ضالتها في الداروينية في الضحك على عقول البلهاء ممن يسعون وراء المتعة فقط.. لاقت الشيوعية التي خرجت للنور بمساعدة داروين انتشارًا واسعًا في روسيا والصين وكمبوديا. الشيوعية التي تُعد واحدة من أبشع وأحقر وأظلم الأنظمة التي عرفها البشر، والتي انتشرت في أوروبا وآسيا وحتى بعض الدول الإسلامية، التي تركت تعاليم رب السماء من أجل وحوش وشياطين الأرض... وإليك أمثلة على ما يحدث عندما يفقد الإنسان إنسانيته ويتحول إلى حيوان متطور، ويعطي لنفسه الحق في كل شيء دون أن يحاسبه أحد:

«فلاديمير لينس» قائد الثورة البلشفية (الشيوعية) في روسيا قُتل في عهده ما يزيد

على ٤ مليون شخص، من بينهم أسرة قيصر روسيا بالكامل؛ القيصر وزوجته وأولاده والمربون داخل سرداب أحد المنازل.

«جوزيف ستالين» قُتل في عهده أكثر من ٤٢ مليون شخص، ويُعد من كبار طواغيت التاريخ..

«ماوتسي تونج» الشيوعي الصيني الذي قُتل في عهده أكثر من ٣٧ مليون شخص، بعيدًا عن أي حروب، وأنشأ ما يُسمى بالحرس الأحمر للقضاء على كل ما يدين بالدين السماوي، والقضاء على الكنائس والمساجد، وُسمي ذلك بالثورة الثقافية!!

«بول بوت» شيوعي كمبوديا، قتل ما يزيد على ٢ مليون شخص.

كل هؤلاء ومن تبعهم في معتقداتهم قتلوا وذبحوا ملايين الرجال والنساء والأطفال، بسبب فكرة واحدة ساعدت على إخراج وحشيتهم وطمعهم وقذاراتهم.. فكرة أن الإنسان أصله حيوان!! ولكن المشكلة أنهم أثبتوا أن الأصل الحيواني لهم هو من حيوانات لا نعرفها، فنحن لم نعرف قط عبر التاريخ عن حيوانات قامت بإبادات جماعية!! كما فعل الفرنسيون المتنورون عام ١٧٩٣ بعد الثورة المتنورة في فرنسا، عندما أبادوا أكثر من ٨١٥٠٠٠ في مدينة فاندي، من المزارعين الذين اعترضوا على ارتفاع الضرائب!! ليس هذا بالغريب على فرنسا التي قتلت أكثر من ١٢٠ مليون إنسان في مسيرة احتلالها لدول أخرى، كما ذُكر في كتاب مجازر استعمارية الجمهورية الرابعة ١٩٤٤-١٩٥٠ للمؤلف «أيف بونو».. فرنسا مهد الإرهاب، وهذه ليست مبالغة، فمصطلح الإرهاب خرج لأول مرة على يد الزعيم الفرنسي «ماكسيمليان روبسبيير» الذي سنَّ لأول مرة في التاريخ مادة دستورية تنص على حق الدولة في ترهيب شعبها (الحكم بالترهيب المباشر من قِبل الحزب الحاكم).. ابحث

عن عصر الإرهاب على الشبكة العنكبوتية، وانظر ماذا سيخرج لك يا باحث! ولا يقف إبهار فرنسا عند هذا الحد، ففرنسا هي التي أنشأت حديقة حيوان للبشر في وسط باريس، تعرض فيها بشرًا كانت تختطفهم من الدول الإفريقية المحتلة، في أسوأ صور وأوضاع للشعب الفرنسي الراقي.. اقرأ كتاب the hunting human zoo of Paris يا من تقرأ!! اسمع المزيد..

فمن ضمن من تأثر بالأصل الحيواني للإنسان هو الفيلسوف الألماني «فريدريك نيتشه» الذي كتب عن سلالة الإنسان الأبيض، وأنها أفضل من بقية السلالات، ويجب أن تستمر لأنها الأقوى والأصلح، أما البقية الأضعف يجب أن تختفي وتنتهي، لأنها لا تصلح للحياة.. وإن الحياة لن تتقدم إلا بالأفضل والأقوى، (هل يعجبك شعور أنك ماشية في مزرعة مواشٍ!!)

وكان «نيتشه» قد نهل هذا العلم من كتب داروين والانتخاب الطبيعي، وبالطبع هناك من نهل من «نيتشه» وهم معظم زعماء أوروبا كما ذكر «جيمس جول» في كتاب أوروبا منذ ١٨٧٠، وكان من أشهرهم «أدولف هتلر» الذي كان يرى أن العرق الأفضل والأقوى هو العرق الآري الجيرمان، وكان يضعه على قمة الهرم الحيواني! آسف أقصد الإنساني... اعذرني، فالحديث عن هؤلاء وأمثالهم يشعرني أني في غابة!! فمن أجل ما يؤمن به هتلر، ومن أجل قرد داروين قُتل أكثر من ٢٠ مليون شخص على يد هتلر، وأكثر من ٥٠ مليون شخص في الحرب العالمية الثانية أغلبهم مدنيون. ولا تتسرع وتظلم هتلر، فهناك من هو أسوأ! «ليوبولد» ثاني ملك لبلجيكا الذي قتل أكثر من ١٠٠٠٠٠٠٠ إنسان في الكونغو، وقلد فكرة حديقة الحيوان البشرية في بلده! (هل لُقب هتلر أو غيره من هؤلاء القتلة بالإرهابي!)

ولم تقف قذارة تلك الفرضية عند أهل الأرض فقط، بل وصلت إلى أهل الأرحام أيضًا، فمثلا في الصين تم قتل وإجهاض أكثر من ١٦٠٠٠٠٠٠٠ جنين، لكونه أنثى، وهذا العدد طبقًا لما ذُكر في كتاب unnatural selection

لأن هذه الفرضية صنفت البشر درجات ومراتب، جعلت العرق الأبيض هو أعلى وأفضل الأعراق، وهو الأحق بالعيش والاستمرار، وجعلت الأنثى أقل من الذكر الذي يعد الأقوى، وله أحقية في البقاء، فمن الطبيعي أن يسعى الصينيون إلى الحصول على الاختيار الأفضل من أنواع البشر، خصوصًا أنهم لا يمتلكون فرصة الإنجاب إلا مرة واحدة في بلدهم.. فبعد أن كانت الطبيعة هي التي تختار، أصبح البشر الأعلى درجة هم من يختارون من له الحق في الوجود والبقاء (كي تُلغى فكرة وجود إله واحد، أوجدت مليارات الآلهة).. اقرأ كتاب

The history of evolutions teaching of women inferiority

وأنت تعرف من أين جاءت العنصرية ضد المرأة، والتعامل معها كسلعة!

وإلى يومنا هذا وعنصرية تلك الفرضية القذرة متوغلة في قلوب كل من يكره الموحدين بالله الواحد، ويرفضون عبوديتهم لغيره.. شاهد ما قيل صراحة وعلنًا في إعلام السادة عن الفرق بين الأبيض الغربي والأسمر العربي، وستعلم أن هتلر لم يمت ولن يموت! اسمع ماذا قال رئيس وزراء بلغاريا عن اللاجئين الأوكرانيين أنهم ليسوا مثل اللاجئين العرب، فهم بيض أذكياء متعلمون، وليس لهم تاريخ غامض أو إرهابيين! وما قالته مراسلة قناة إن بي سي الأمريكية عن سبب فتح أبواب بولندا للأوكرانيين، لأنهم بيض ومسيحيون مثلهم! وما قاله مراسل البي بي سي الذي يتعجب من كيف يُقذف الأوكرانيون البيض ذوو الشعر الأشقر والعيون الزرقاء بالصواريخ كما يحدث

مع العراقيين أو الأفغان!! هكذا ينظر لك أنصار داروين البيض أيها الملحد العربي القمحي ذو العينين العسليتين، يا من تتنصل من أصلك العربي كي ترتمي في أحضان أسيادك البيض، ولكنهم للأسف هم من يتنصلون منك، ولا تتعجب أو تشتكي، فهذا هو دينكم!! حتى الجيش الأوكراني كان يعطي أولوية المغادرة للأوكرانيين البيض قبل السود أو أصحاب الأصول العربية!!

وهذا سبب ترويج الغرب المستمر لهذه الفرضية، ومحاربة من يعارضها وتكميم فمه، لأنه ببساطة هذا هو الدين الذي يمنحهم كل شيء، بما فيه أنت يا غلبان!! اسال الفرنسي «ألفريد سوفيه» لماذا صنفك كعالم ثالث! وما يعني هذا!

هذه ليست نظرية ولا فرضية ولا علم، بل هي الجهل بعينه الذي يعيد الناس إلى أكثر من ١٤٠٠ عام للخلف، يعيدهم للجاهلية والضلال، وعبادة التابوهات والأصنام، ووأد البنات، وظلم الضعيف، ومنافقة القوي، وهذا كل شيء، والمطلوب إثباته.

حقًّا صدق الله -تعالى- حين قال: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]

تخيل أن كل من حولك يؤمن بأننا جئنا صدفة من انفجار مفاجئ بدون سبب معلوم، وأننا مثلنا مثل الحيوانات، لا قيمة لنا في هذا الكون الفسيح، وسينتهي بنا الأمر إلى العدم، فلا ثواب ولا عقاب على أي شيء نفعله في هذه الدنيا، فتعالَ معي نرَ الصورة كاملة.. أولًا ستكون ابن حرام!! نعم عزيزي، فما الذي يجبر أباك وأمك أن يتزوجا!! وإذا كنت أنت وأبوك وأمك تعيشون في مكان واحد، فما يجبرك أن تطيعهما؟! لمَ لا تقتل أباك كي تأخذ أمواله!! ولماذا لا تتزوج أو تمارس الحب مع أختك؟! فهي متاحة أمامك معظم الوقت!! وكيف ستأمن على امراتك وسط جيرانك؟ ولماذا تعمل من

الأساس؟! اسرق ما تريد! لماذا لا تستولي على بيت ومال من هو أضعف منك؟! ولمَ تتزوج؟! فمن الممكن أن تمارس الحب مع عدد لا نهائي من النساء في أي مكان!! وكذلك المرأة التي تحبها قد تمارس الحب مع غيرك!! لماذا لا تقتل؟! فلن يلومك أحد! فمن قتلوا الملايين -كما قلنا- مات معظمهم على فراشه، وذهبوا إلى العدم دون عقاب، فلماذا لا تكون واحدًا منهم؟! تلك الصورة القذرة التي سردتها هي ما يريد أعداء الإنسانية أن تكون عليه الحياة البشرية.. فاحمد الله حمدًا كثيرًا على وجود موحدين على الأرض.

«في هذا العالم لا يوجد شر ولا خير.. لا يوجد سوى لا مبالاة عمياء وعديمة الرحمة»
ريتشارد دوكينز

«يجد الوجودي حرجًا بالغًا في ألا يكون موجودًا، لأنه بعدم وجوده تنعدم كل إمكانياته للعثور على قيم في عالم واضح». جان بول سارتر، أحد أشهر أعداء الإنسانية.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]

سبحان الله، فهم بإرادتهم ورغبتهم يعترفون أنهم أنعام، ولكن متطورة!!

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) ﴾ [القيامة: ١-٥]

وهذا ما يفعله أعداء البشرية.. يخبرونك أنك جئت من عدم، وستذهب إلى عدم، وأصلك حيواني، كي تفجر في الأرض بلا ضوابط..

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُوَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]

أوضح الله -تعالى- أقوالهم من ١٤٠٠ عام، لأنه ليس جديدًا فهو قول سمعوه وتعلموه، ولقي استحسانًا من نفوسهم، فما يقولون عليه نتائج علم ونظريات ذكره الله -تعالى- من آلاف السنين، لأنه ليس علمًا، بل وسوسة شيطان، وكبر نفس، وُجدوا مع وجود الإنسان.

الاستفسار الثاني
اقرأوا... القرآن

يومًا بعد يوم والحيرة تزيد في رأسي... أصبحت تائهًا في بحر من الاستفسارات؛ هل حقًّا علم القرن العشرين هو النور الذي هدى البشرية إلى الصواب؟ هل هو علم أم فرضيات وظن؟! أكيد هناك نظريات علمية سليمة تم التأكد منها وتطبيقها، منها ما أفاد البشرية ومنها ما أضرها، ومنها ما لم يتجاوز الأوراق والافتراضات، ولا يوافق ثوابت العلم أصلًا! وهل حقًّا تختلف ثوابت العلم مع الدين؟ أم فقط فرضيات العلم التي لم تثبت بالتجربة بعد، وظن وأهواء بعض العلماء هو الذي يختلف مع الدين؟ هل الدين يأخذ نفس مساحة العرض للناس التي يأخذها العلم بنظرياته وفرضياته؟ وكي أستطيع الإجابة يجب أن أعرف أكثر عن القرآن الكريم من أحدهم:

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٨]

تلك الآية القرآنية من سورة الكهف تؤكد أنه لا يستطيع أحد أن يسمع ويطيع وينفذ عن عدم علم ومعرفة وفهم، فهذا يُلغي نعمة التفكير والاختيار التي أعطاها الله للإنسان.. القرآن بدأ بطلب القراءة والمعرفة مع أول كلمة نزلت منه (اقرأ).. فالله في كتابه للناس لا يريدهم عبيدًا عديمي البصر والبصيرة بلا عقل، بل دائمًا في كتابه يقول «يا أولي الألباب» أي يا أصحاب العقول، فالقرآن فيه كل شيء عن حياتنا نحن، وحياة من قبلنا، ولكن هذا يحتاج إلى قلوب باحثة عاقلة لتراه...

القرآن كتاب يضيء لك كل نواحي الحياة؛ من علم وتاريخ وإنسانية ودين، ولكن لن يفهم هذا أصحاب القلوب السوداء وعبيد الأهواء، وكما قال الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-: «من أراد الدنيا فعليه بالقرآن، ومن أراد الآخرة فعليه بالقرآن...»

القاعدة الأولى:
القرآن منبع العلم...

ما معنى أن القرآن منبع العلم؟ معنى ذلك أن القرآن كتاب يدعو إلى التعلم والتفكير في الأمور المختلفة بشكل علمي، والوصول إلى أدلة وإثباتات وتطويع العلم لخدمة وحماية البشر، فالقرآن يحتوي على أدلة واضحة مقروءة تؤكد هذا، فمن أول كلمة نزل بها هذا الكتاب وهي «اقرأ»، مرورًا بطلب الله من الناس التأمل في بداية الخلق ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ**﴾ **[العنكبوت: ٢٠]**، وأمارات على كيفية بداية الخلق والخليقة ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩)**﴾ **[المؤمنون: ١٨-١٩]**، القرآن يطلب من قارئه التأمل ودراسة كل شيء حوله قبل أي هيئة أو عالم أو وكالة!! فكما قال الله:

﴿**أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)**﴾ **[الغاشية: ١٧-٢٠]**

فالله يريد منك التدبر في كل شيء حولك، وأن تعرف كيف بدأ، وتدرس طبيعته والاختلافات في عالمنا، فقد قال الله:

﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ **[الرعد: ٣]**

ليس هذا وحسب، بل طلب الله في القرآن منك دراسة مراحل تكوينك أنت شخصيًّا،

فقد قال تعالى:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦]

وكان القرآن الكريم أول من أشار إلى أن الجنين يتكون من ماء الرجل والمرأة معًا، وليس من ماء الرجل فقط، كما كان يعتقد فلاسفة الإغريق، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢] فكلمة «أمشاج» تعني شيئين مختلطين.

والقرآن حدثنا عن السماء وما بها من نجوم وكواكب وشهب، كي نبحث ونتعلم عن سمائنا وما بها من إعجاز من الخالق:

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)﴾ [الطارق: ١-٣]

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦)﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦]

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦)﴾ [التكوير: ١٥-١٦]

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات: ٦]

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصافات: ١٠]

كما أن الله -تعالى- أشار في القرآن الكريم إلى أبسط الأشياء في هذا الكون، وهي الذرات، وحدة بناء المواد في الكون، عكس ما كان يعتقد بعض فلاسفة الإغريق:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]

حدثنا الله في كتابه الكريم عن عناصر الكون المختلفة:

﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ(٢٥) ﴾ [الحديد: ٢٥]

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥]

﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]

كما أشار لنا القرآن الكريم قبل مشروع «سيرن» أنه يمكن تفتيت الذرة وإيجاد ما هو أصغر منها، فهي ليست مصمتة:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]

حتى النظرية التي يقول الغرب وأتباعه أنها غيرت فكر الفيزياء والعلم الحديث (نسبية أينشتاين)، واختلاف الزمن باختلاف المكان والسرعة... فنقطة اختلاف الوقت والتوقيت من مكان لآخر، بسبب اختلاف الطبيعة والقواعد الفيزيائية بينهم، أشار إليها القرآن الكريم للتفكير بها:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]... وسترى لاحقًا أن علماء المسلمين هم أول من درسوا الضوء والحركة والزمان، وأيضًا الكهرباء التي غيرت مسار العالم، واستخدمها الناس في البداية للإضاءة، وكان المصباح الكهربائي نقلة علمية حينما استطاع الإنسان استخدام التيار الكهربائي للإضاءة بدلا من النار، وكان العالم «بن فرانكلين» قبل اختراع المصباح الكهربائي بحوالي مئة عام أثبت أن البرق عبارة عن شرر كهربائي، ولكن القرآن سبق الكل:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٢٠)﴾ [البقرة: ١٧-٢٠]

فالله -تعالى- يشير لك من خلال هذه الكلمات القليلة أن البرق الذي هو شرر كهربائي قد يُستخدم للإضاءة كالنار، وبدلًا منها!

والسفر الكمي الذي يسعى علماء الكم لجعله واقعًا ملموسًا سفرًا في لمح البصر، لفت إليه القرآن الانتباه في قوله:

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]

حتى انخفاض تركيز الأكسجين في الهواء كلما ارتفعنا عن سطح البحر أُشير إليه في القرآن:

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]

صباح كل يوم يرتفع الهواء الساخن المليء بثاني أكسيد الكربون إلى أعلى ويتم استبداله بهواء نقي نظيف بارد ينتقل إلى أسفل، الأمر يشبه تنفس الصباح، وهذا ما تعلمناه من كلام القرآن: **﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]**

هل سمعت عن المادة المضادة والبوزيترون؟ القرآن الكريم هو أول من فتح للعقل البشري الباب للتفكير في أن كل شيء في الدنيا له وجهان.. كل شيء في الدنيا زوجان، فقال تعالى: **﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩]**

وحتى محاولة الإنسان لتصنيع روبوتات، والرجل الخارق، أشار لها القرآن الكريم: **﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الإسراء: ٥٠-٥١]**

ففكرة الرجل الصخري والرجل الحديدي أخبرنا بها القرآن الكريم من أكثر من ١٤٠٠ سنه قبل هوليوود.

وكان القرآن الكريم أول من أشار إلى أمواج الأعماق في البحار والمحيطات التي لم نرها إلا مؤخرًا بالأقمار الصناعية: **﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور: ٤٠]**

وعن العلوم الطبية أشار القرآن الكريم إلى العمليات والوظائف الحيوية في جسم

الإنسان، مثل دور الكلى في التخلص من الماء الزائد في الجسم، وعدم تخزين جسم الإنسان للماء، قال تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ **[الحجر: ٢٢]**

كما أن القرآن الكريم هو أول من لفت الانتباه إلى أن قرارات الإنسان وشخصيته توجد من الفص الأمامي للمخ، قال تعالى: ﴿**كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦)**﴾ **[العلق: ١٥-١٦]** ، وقال تعالى: ﴿**يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ**﴾ **[الرحمن: ٤١]**، والناصية هي الجبهة، مكان الفص الأمامي للمخ (frontal lobe)، ومركز الاتزان السماعي الذي يعطي للإنسان اتزانه وثباته في الوسط المحيط، كي يستطيع الإنسان أن يقوم بأفعاله ويتخذ قرارته، وبدون عمل هذا الجهاز يصبح الإنسان تائهًا في وسطه لا يعلم عنه شيئًا.. هذا الجهاز يعتمد في جمع بياناته عن الوسط المحيط بالإنسان على السمع والنظر والإحساس من مفاصل الجسد، وهذا العمل لجهاز الاتزان السماعي يبدأ تدريجيًّا مع نمو الإنسان، بالاعتماد على السمع ثم ،النظر ثم الإحساس من داخل المفاصل، وكان القرآن الكريم أول من أشار لهذا قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ **[النحل: ٧٨]**

وكذلك التواصل والارتباط بين العين ووظائف اليد، فالوظائف اليدوية ودقتها وصحتها مبنية على الرؤية والنظر.. كان القرآن الكريم أول من أشار إلى هذا الارتباط في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ**﴾ **[ص: ٤٥]** (eye-hand co-ordination)

وكان القرآن الكريم أول من دافع عن المرأة وأشار إلى أن الرجل هو المسئول عن تحديد نوع الجنين، قال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]

وحتى التهديدات البيئية التي تحدث من حولنا اليوم، والمؤتمرات التي تنعقد من أجل محاولات الحفاظ على البيئة، والتغييرات السلبية التي حدثت في أرضنا بسبب تجاوزات الإنسان وأفعاله الإجرامية في حق أرضه ونفسه، حذر القرآن الكريم من هذا كله من أكثر من ١٤٠٠ عام، قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، حذرنا القرآن الكريم من أفعالنا، وأنه ليست كل تجارب العلم ومجالاته تعود علينا بالفائدة، بل هناك ما يفسد بيئتنا.

هل سمعت من قبل عن التشابك الكمي؟ هو أحد اكتشافات ميكانيكا الكم، ويوضح هذا الاكتشاف ببساطة أن الإلكترونات واحدة المصدر بينها تواصل أسرع من الضوء بكثير، ومهما كانت المسافة بينها، وهذا ما أنكره أينشتاين في حياته، ثم تم إثباته علميًّا بعد موته.. هذا التشابك والتواصل أشار له القرآن الكريم، أنه مهما تباعدت جزيئات المصدر الواحد وذراته وإلكتروناته، فإن بينها دائمًا تواصل بأمر الله خالقها ومجمعها:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

تلك الأمثلة البسيطة توضح أن هذا الكتاب لم يترك بابًا من أبواب العلم إلا وأناره

وفتحه أمام عقول البشر، ليبحثوا ويتفكروا ويتعلموا... لا يستطيع شخص أميٌّ أو حتى عالم أن يتحدث عن كل هذه العلوم، ولا في الحقبة الزمنية التي نزل فيها القرآن، ولا يوجد أحد يستخف بعقول الناس ويريد إخضاعهم لإرادته وإذلالهم واستعبادهم يطلب منهم التأمل والقراءة والتفكير!

وهنا يُسأل السؤال المعتاد: من قال أن المعلومات أو التلميحات التي ذُكرت في القرآن صحيحة؟! فمنها ما يختلف مع نظريات علمية أخرى؟؟

أولًا القرآن لم يذكر معلومات علمية، بل يمهد الطريق للتفكير السليم، والوصول إلى الحقيقة، ويعلِّم الإنسان أن يفكر في كل شيء حوله.

ومع ذلك فلا توجد حقيقة علمية دامغة مُثبتة تختلف مع كلمة واحدة في القرآن! فالنظريات العلمية تبدأ مجرد فرضيات، إلى أن تُثبت صحتها بالتجربة المتكررة والادلة، فتصبح حقيقة دامغة.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ**﴾ **[الروم: ٥٨]**

وتأكيدًا على ذلك فالقرآن نزل من أكثر من ١٤٠٠ عام، هل العلم ثبت على نفس ثوابته ونظرياته وأسسه طوال تلك الفترة؟! طبعًا لا، وألف لا.

على مدار ١٤٠٠ عام اختفت نظريات ووُلدت نظريات، وبقي منها البعض، واندثر منها البعض الآخر، وتم القضاء على علوم كاملة، وتم إنشاء علوم جديدة، وتم تحديث علوم بأكملها... وأهم من ذلك أن القرآن هو من فعل كل هذا! نعم عزيزي، القرآن هو من تسبب في الثورة العلمية على الأرض من الأساس.. القرآن هو من قضى على الخرافات متعددة الجنسيات!

من المؤكد بحكم تطلعاتك العلمية أنك شاهدت العديد من الفيديوهات العلمية المنتشرة على اليوتيوب، التي يقدمها شباب عربي، أو الأفلام الوثائقية المنتَجة بواسطة وكالات علمية كبيرة.. ستلاحظ أنهم يعرضون تطور أي فكرة علمية على مر الزمن، بداية من أفكار فلاسفة الإغريق، والتي تكون في الغالب أفكارًا سطحية وخاطئة، ثم فجأة نقفز إلى علماء أوروبا في القرن الثامن أو التاسع عشر غالبًا، وتلك القفزة كبيرة جدًّا، لأنها من ٣٠٠ إلى ٦٠٠ قبل الميلاد إلى تقريبًا القرن الثامن عشر بعد الميلاد.. قفزة تستحق ميدالية أولمبية إغريقية!! فلمَ كل هذه الفترة من التوقف العلمي، ثم الصعود بسرعة الصاروخ إلى القمر؟! هل هذا منطقي؟؟ هل فعلًا كل هذه الفترة كانت فترة توقف عن البحث العلمي؟؟ أغرب من ذلك أن كثيرًا من اجتهادات فلاسفة وعلماء الإغريق لم تكن صحيحة، وعاش العالم على هذه الأخطاء، وخاصة أوروبا فترة طويلة، فمن أعطى للعالم الضوء الأخضر للتخلص من تلك الأوهام... لماذا لم تتحرك أوروبا إلا في القرن الثامن عشر؟ لماذا كل هذا الانتظار؟ أم كان هناك تحرك قبل هذا التاريخ، ولكن عدسات الكاميرات لم تلتقطه عمدًا!! تعالَ معي نبحث عن الحقيقة...

بعد محاولة التخلص من المسيح وطمس وإخفاء تعاليمه والمحبة والسلام الذي جاء بهم، استمرت الشرور في الأرض، واستمر الصراع والقتل والدم، من أجل السيطرة على الأرض..

ذلك الصراع الذي كان من قبل المسيح، وكان أبطاله الفرس والروم واليهود والقبائل العربية المتأخرة والمتناحرة وغيرهم... وجاء المسيح ليعلمنا أن وجود الإنسان على تلك الأرض من أجل العبادة والإعمار ومساعدة الغير والتعاون على الخير، ولكن هذا لم

يرضِ النفوس الضعيفة، فحاولوا التخلص منه، وكل من يتبع تعاليمه، كي يضعوا العالم في صندوق أسود مظلم، غير مسموح لأحد أن يفتحه أو ينظر خارجه.. فبقي آخر شعاع ضوء في ذلك الصندوق مع حاملي التعاليم الربانية السليمة من أتباع سيدنا موسى وسيدنا عيسى، إلى أن أراد الله -تعالى- إحياء الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

في بدايات القرن السابع الميلادي، وبعد بداية ما يُسمى بعصور الظلام بما يقارب قرنًا ونصف، وفي واحدة من أظلم الأماكن على وجه الأرض في ذلك الوقت، منطقة شبه الجزيرة العربية المتأخرة، والتي كان سكانها يعبدون الأصنام، ثم يأكلونها عند الحاجة، وكانوا يخوضون حروبًا بينهم لفترات طويلة، وفي نفس الوقت أيضًا كانوا يفرون إلى الجبال عند قدوم معتدٍ خارجي.. ومع بداية القرن السابع أنزل الله رسالته للبشر، كي تخرجهم من عصور الظلمات والجهل إلى عصور العلم والنور... نزلت على محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- من قبيلة قريش بشبه الجزيرة العربية، وموطنها مكة المكرمة، نزلت كما قلنا بأول كلمه وهي «اقرأ»... تلك الكلمة التي غيرت العالم تمامًا، وأضاءته بنور العلم والتأمل، ولكن كيف حدث هذا؟! كيف غيرت تلك الكلمة التي نزلت في غار على رجل أميٍّ العالم؟؟

بدأ الرسول الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالدعوة إلى الإسلام في مكة، وكان يحفظ ما ينزل عليه من القرآن الكريم ويتداوله مع أتباعه، ومن يستطيع منهم الكتابة كان يكتبه، ومع اشتداد العداء من قبيلته قريش، أمر الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعض أتباعه للهجرة إلى الحبشة، ثم جاءت الهجرة الكبرى للرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأتباعه من مكة إلى يثرب، والتي أصبحت المدينة المنورة، والتي خرج منها النور

إلى العالم كله، وكان ذلك عام ٦٢٢ ميلادي، وأول شيء فعله الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو بناء مسجد في تلك المدينة، يدرس فيه المسلمون القرآن، ويتناقشون في أمور دينهم ودينا‌هم.

ثم بدأ الصدام بين قريش والمدينة الجديدة، وبدأت الغزوات والحروب بينهم، ومن كان يسقط من أسرى في يد المسلمين يجيد القراءة والكتابة، كان الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يطلب منه تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة كي يطلق سراحه... فالحرص على تعلم القراءة والكتابة كان أولوية في الإسلام من أجل تطوير الدولة الوليدة.

وكان المسلمون يتبادلون الأفكار والآراء بينهم في مسجد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في شتى أمور الحياة؛ الزراعة والصناعة والطب وفنون الحرب وغيرها.

ومع انتشار الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية، ودخول غير العرب الإسلام، كان المسلمون يتعلمون اللغات المختلفة ويعلمون اللغة العربية، من أجل تبادل الثقافات والعلوم والأفكار الجديدة، كما فعل سلمان الفارسي في فكرة حفر الخندق في غزوة الخندق أو الأحزاب!

وبدأ هذا التبادل الفكري يتخذ نطاقًا أوسع مع اتساع مساحة الدولة الإسلامية ووصولها إلى مناطق جديدة كانت تحت الحكم الروماني والفارسي، مثل الشام ومصر والعراق واليمن... وبدأ المسلمون في الاطلاع على علوم وأفكار الإغريق، وانطلاقًا من الدين السماوي الذي بدأ بـ«اقرأ»، ويدعو في كتابه السماوي إلى التأمل والتدبر والبحث والاستنتاج، فأنشات الدولة الإسلامية (الدولة الأموية) واحدة من أقدم جامعات العالم، إن لم تكن الأقدم فعلًا (جامعة الزيتونة) في تونس عام ٧٣٧ م، ثم

جامعة القروبين في المغرب عام ٨٧٧ م، وكانت تلك المناطق قبل دخول الإسلام قابعة تحت سيطرة البربر، قبائل قمة في الهمجية والوحشية!!... وبدأت الدولة الإسلامية في القيام بواحدة من أهم الحركات التي أثرت في علوم العالم كله.. بدأت في الترجمة.. في منتصف القرن الثامن بدأ المسلمون في ترجمة علوم الإغريق وغيرها من العلوم.. هذا العمل الذي ساعد على تقارب علوم البشر.. فقد استعان المسلمون باليهود والمسيحيين وأصحاب الديانات الوثنية، من أجل ترجمة تلك العلوم الإغريقية ودراستها وتطويرها، فالإسلام أزال الحواجز بين طوائف البشر، من أجل خدمة الإنسانية، وإيمان المسلمين بـ«اقرأ» القرآنية، وما شهدوه من التغيير الكامل، من أذل قوم في الصحراء، إلى أكبر وأقوى دولة، جعلهم يستمرون على نفس المنهج القرآني العلمي، فالقراءة هي التي غيرت حياتهم بالكامل، وحثتهم على نشر الخير والعلم وما ينفع الناس:

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]

لذلك بدأ المسلمون في دراسة علوم الإغريق، وقسموها إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

قسم العلوم التي تُدرس وتُصحح ويُضاف إليها..

وقسم الأفكار التأملية والفلسفية التي يؤخذ منها، ويُرد منها قسمٌ مرفوضٌ تمامًا، بسبب تعارضه مع الوحدانية لله الخالق وكتابه...

وقام المسلمون بتطوير تلك العلوم والأفكار الإغريقية، وتصحيح أخطائها الكثيرة، وإنشاء التخصصات في كل علم، فتوسعت بحور العلم، وفاضت على كل أهل الأرض، ليس فقط شبه الجزيرة العربية، أو البلدان التي كانت تقع تحت سحابة

الفرس والإمبراطورية الرومانية الشرقية، بل أيضًا أوروبا، وذلك من خلال بوابة الأندلس التي دخل من خلالها المسلمون، ونشروا علومهم المختلفة، وما طوروه من علوم الإغريق..

ولم تكن فقط البوابة الوحيدة التي انطلق منها المسلمون لإنارة أوروبا، بل كان هناك أيضًا القسطنطينية عام ١٤٥٣ م، وساعد ذلك على إنارة أوروبا شرقًا وغربًا.. فقبل ذلك في أوروبا كانت الكنيسة الكاثوليكية تمنع دراسة علوم الطب، لأنها كانت تعتبر المرض غضبًا من الله، واستمر هذا الأمر إلى ما يقارب القرن الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، أي حتى دخول المسلمين ونور الله أوروبا.

هل عرفت الآن لماذا لم يتطور علم الأوروبيين إلا بعد القرن الخامس والسادس عشر الميلادي ؟!

فتعالَ معي لأثبت لك ببعض الأدلة العلمية الملموسة أن المسلمين أتباع كتاب «اقرأ» هم أول من وضع أسس العلم الحديث ونظرياته وتخصصاته، وأنهم الآباء الشرعيون لكل للعلوم..

اقرأ معي بعض هذه الأسماء وآثارها في طريق العلم:

أحمد محيي الدين بيري (القرن الخامس والسادس عشر): مكتشف أمريكا الحقيقي، الذي اعتمد كولومبس على نسخ من خرائطه في الوصول لأمريكا.

الإدريسي (١١٠٠-١١٦٦): رحالة إسلامي، يُعد هو مؤسس علم الجغرافيا الحديث، صنع كرة من الفضة مرسومًا عليها صور الأقاليم السبعة، وقدمها لملك صقلية..

استُخدِمت خرائطه في كل كتب الجغرفيا الحديثة في أوروبا، ومن أشهر كتبه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق).

ابن البيطار ١١٩٧م -١٢٤٨م: عالم نبات وصيدلاني، وقام بدراسة النبات على يد ابن العباس، ومن أشهر كتبه: المُغني في الأدوية المفردة... كتاب ميزان الطبيب.. كتاب رسالة في تداوي السموم... وكتاب الجامع لمفردات الأغذية والأدوية، الذي تحدث فيه عن ١٤٠٠ نوع من النباتات والخضراوات.

ابن رشد ١١٢٨م-١١٩٨م: طبيب وفيسلوف، ومن كتبه.. كتاب الكليات في الطب، الذي شرح فيه عن التشخيص والوقاية والعلاج.. كتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والاتصال.

ابن زهر ١٠٩١م-١١٦١م: طبيب يرجع له استخدام التغذية بالحقن الشرجي لأول مرة بالسوائل، عند عدم القدرة على التغذية عن طريق الفم، وقيامه بالتشخيص السريري للأورام الخبيثة في الجذع، وجراحة الماء الأزرق والكلى ومن كتبه: كتاب التيسير في المداوة والتدبر... كتاب الاقتصاد في إصلاح النفس والأجساد.. كتاب الأغذية...كتاب الجامع في الأشربة والمعجونات.

ابن سينا ٩٨٠م-١٠٣٧م: طبيب وفيلسوف وشاعر، ويُلقب بأبي الطب الحديث.. أول من اكتشف طبيعة السرطان ومرض التهاب السحايا، ووصف السكتة الدماغية

الناتجة عن كثرة الدم، وتحدث عن الديدان الطفيلية التي تعيش خارج القناة الهضمية، وتحدث أيضًا عن الكثير من أمراض النسا، منها الانسداد المهبلي والنزيف، ووضح طريقة العدوى لبعض الأمراض المعدية.. وفي مجال الرياضيات تحدث عن التربيع والتكعيب والمضاعفات.. وفي مجال الفلك اخترع أداة قياس دقيقة لضبط القياسات الفلكية.. وفي الفيزياء تحدث عن الضوء والحرارة والطاقة والفراغ والقوى الحركية وعلاقة الزمن بالحركة والكثافة النوعية لعدد من المواد، ومن أشهر كتبه: كتاب القانون في الطب.. كتاب الأدوية القلبية.. كتاب مختصر علم الهيئة.. كتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية.. كتاب رسالة الزاوية.. كتاب مختصر إقليدس... كتاب رسالة في الفضاء.. كتاب رسالة في إبطال أحكام النجوم..

ابن ماجد ٨٢١م-٩٠٦م: ملاح وجغرافي، لُقب بأسد البحر، ويُعد أول من كتب في المرشدات البحرية الحديثة، وتحدث أيضًا عن نشأة الملاحة والبوصلة والمشكلات البحرية، ووصف سواحل الجزيرة العربية ومدغشقر وجزر القمر وزنجبار، ومن كتبه: كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، وهو أول من اكتشف طريق رأس الرجاء الصالح، وقبل «فاسجو داغاما» بكثير.

ابن النفيس ١٢١٣م-١٢٨٨م: طبيب، ويُعد أول من اكتشف الدورة الدموية الصغرى وتغذية الشرايين للقلب، ومن كتبه: شرح تشريح القانون.. المختار في الأغذية.. كتاب شرح فصول أبقراط..

ابن الهيثم ٩٦٥م-١٠٤٠م: فيزيائي، ورياضي، وعالم بصريات، هو أول من وضع أسس علم الضوء، ووصف أجزاء العين وعملية الرؤية بشكل دقيق، وأول من اكتشف العلاقة بين زاوية سقوط الضوء وانكساره، كما أنه تحدث عن أن الجسم المتحرك يبقى على وضعه حتى تؤثر عليه قوى خارجية توقف حركته أو تغيرها، وقام بدراسة الهندسة التحليلية من خلال الربط بين الهندسة والجبر، ومن كتبه: كتاب ميزان الحكمة في الفيزياء... كتاب المناظر في علم البصريات..

الفارابي: عالم وفيلسوف، قام بتقسيم علم المنطق إلى قسمين: قسم التخيل، وقسم الثبوت، ومن كتبه: كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة.. كتاب فصوص الحكم..
الأصمعي ٧٤٠م-٨٣١م: لغوي، وشاعر، وعالم نبات، ومن كتبه: كتاب الأصوات.. كتاب النحلة.. كتاب الأجناس... كتاب تاريخ الملوك... كتاب الخيل... كتاب النسب.. كتاب النبات والشجر..

البتاني ٨٥٢م-٩٢٩م: فلكي، ورياضي، ومهندس، وهو أول من وضع المفاهيم الحديثة ورموز الدوال في حساب المثلثات، وأول من أوجد النسب المثلثية، وهو أول من اكتشف انحراف المدار الشمسي، وحدد طول السنة الشمسية بـ ٣٦٥ يومًا و٥ ساعات و٤٦ دقيقة و٢٤ ثانية، ومن مؤلفاته: كتاب رسالة في تحقيق أقدار الاتصالات... وكتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك.. كتاب الزيج الصباني..

البيروني٩٧٣م-١٠٤٨م: رياضي، وفلكي، وفيلسوف، قام بتعيين خطوط الطول والعرض، وذكر أن سرعة الضوء أكبر بكثير من سرعة الصوت، وتحدث عن أوقات الصيف والشتاء في نصفي الكرة الشمالي والجنوبي، وقام بحساب الأوزان النوعية لعدد من المعادن والأحجار الكريمة، وهو من أهم من أسسوا قواعد علم حساب المثلثات الحديث، ومن كتبه: كتاب مقاليد الهيئة وما يحدث في بسيط الكرة.. كتاب تاريخ الأمم الشرقية... كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم..

ابن حيان ٧٢١م-٩١٥م: كيميائي، وطبيب، ويُلقب بالأستاذ الكبير، ويُعد مؤسس الأسلوب التجريبي العلمي، فقد اعتمد على التجربة العلمية، ووصف خطوات عمل التجارب، وكميات المواد وشروطًا أخرى، كما قام بتحضير الفلزات، وتطوير صناعة الفولاذ والصباغة والدباغة، وابتكر نوعًا من الورق غير قابل للاحتراق، وحضر بعض المواد، مثل كبريتيد الزئبق وحمض الكبريتيك، واكتشف الصودا الكاوية، كما اكتشف أن الزئبق والكبريت عنصران مستقلان عن الماء والهواء والتراب والنار، ومن كتبه: كتاب الكيمياء.. كتاب الزئبق.. كتاب الموازين.. كتاب خواص أكسيد الذهب.. كتاب الأرض..

ابن خلدون ١٣٣٢م-١٤٠٦م: هو مؤرخ، وفيلسوف، له أفكار تربوية مهمة، مع أن التربية حينها لم تكن معروفة كعلم مستقل، ومن كتبه: مقدمة ابن خلدون.. وكتاب شفاء السائل لتهذيب المسائل..

الخوارزمي ٧٨٠م-٨٥٠م: رياضي، وفلكي، ومؤرخ، مؤسس علم الجبر، فقد قام بفصله عن الحساب، كما أدخل على الأعداد النظام العشري، واستخدم الصفر، وشرح استعمالهما، ومن كتبه: كتاب الجمع والتفريق في الحساب الهندسي.. كتاب تقويم البلدان.. كتاب استخراج تاريخ اليهود.. المقالة في حساب الجبر والمقابلة.. كتاب رسم الربع المعمور..

الرازي ٨٨٤م-٩٣٠م: هو طبيب وجراح، ورياضي، وفلكي، وفيلسوف.. أول من طبق تجارب الأدوية الجديدة على الحيوانات قبل وضعها للتداول الطبي، لمعرفة فائدتها وآثارها، كما أنه استخدم مادة الأفيون كمخدر للعمليات الجراحية، وفتح باب الصيدلة الكيميائية، واعتمد على الملاحظات السريرية.. كما يُعد مبتكر خيوط العمليات الجراحية، وقام أيضًا بمعالجة السل بالتغذية بالحليب المحلى بالسكر، والتمييز بين الحمى والجدري، ومن كتبه: كتاب الحاوي في الطب... كتاب المنصوري في الطب.. كتاب المرشد.. كتاب الجامع في الطب.. كتاب المفاصل.. كتاب المدخل التعليمي..

الكندي ٨٠٠م-٩٧٣م: هو رياضي، وفيزيائي، وطبيب، وفلكي، وجغرافي، ولُقب بفيلسوف العرب، إذ بحث في العوامل الكونية، ومن كتبه: رسالة في استعمال الحساب الهندسي.. رسالة دار التنجيم.. كتاب ظاهريات الفلك.. إلهيات أرسطو..

نصير الدين الطوسي ١٢٠١م-١٢٧٤م: رياضي وفلكي، أسس مرصدًا فلكيًّا وزوده بالمعدات والأدوات، وتحول فيما بعد إلى معهد أبحاث، ومن كتبه: كتاب تحرير المطالع.. كتاب إقليدس.. كتاب التحرير في الهندسة.. كتاب تحرير مأخوذات أرخميدس..

عباس بن فرناس ٨١٠م -٨٨٧م: عالم، ومخترع فلكي، ومن أهم أعماله الساعة المائية، وصناعة الزجاج الشفاف من الحجارة، ويعد أول من صنع قلم حبر في التاريخ، كما صنع في غرفته نموذجًا يحاكي السماء بكل ما تحتويه من كواكب ونجوم وسحب، ومن أشهر إنجازاته: صناعة جناحين واستخدامهما في محاولة للطيران..

بديع الزمان الجزري ١١٣٦م-١٢٠٦م: أبو هندسة العصر الحديث، وأبو الربوتات.. معظم أعمال دافنشي مستوحاه من اختراعات الجزري، الذي قدم العديد من الاختراعات التي بدأت بها الثورة الصناعية الحقيقة، وليست المسروقة، ومن اختراعاته: آلات رفع الماء، وساعات مائية ذات نظام تنبيه ذاتي، وأنظمة ذات تحكم ذاتي، كما ابتكر روبوتًا على شكل غلام يمسك في يديه إبريق ماء، وفي اليد الأخرى منشفة، وعلى عمامته طائر، وعند موعد الصلاة يصفر الطائر، ثم يتقدم الغلام نحو صاحبه ليصب الماء للوضوء، وعند الانتهاء يقدم له المنشفة، ثم يعود إلى مكانه.. لمَ لا يظهر هذا في الأعمال الدرامية في الدول العربية والإسلامية كما تظهر الروبوتات اليوم في أعمال هوليوود؟!

كما كان من أهم اختراعاته الكرنك العمود المرفقي، وهو يُعد أهم اختراع ميكانيكي فردي بعد العجلة، لأنه يحول الحركة الدوارة المستمرة إلى حركة فعلية تبادلية، وهو كان الأساس، ومن دونه ما كانت الآلات الحديثة، مثل المحرك البخاري، ومحرك الاحتراق الداخلي، ومن أهم كتبه معرفة عن الأجهزة الميكانيكية.. الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل.

كيف انتقل العرب المشردون في الصحراء من حياة الجاهلية إلى العلم والتطور؟! فلا يوجد فرع من فروع العلم أو اختراع إلا وكانت بدايته على أيديهم.. من فعل بهم هذا؟! فلنراجع التاريخ لنعرف إن كان هناك كائنات فضائية أو فجوة زمنية، ولن نجد سوى نبيٍّ أميٍّ أُنزل عليه كتاب من السماء!!

كيف يكون القرآن مخالفًا ومعارضًا لثوابت العلم ونظرياته، وأتباعه هم من أسسوا قواعد وفروع العلم الحديث، ونقَّوه من كل الخرافات والظنون!!

قبل نزول القرآن كان الناس في كل أنحاء العالم يرجعون معظم الأحداث والأمور حولهم إلى القوى الخارقة، أو الآلهة المتعددة، دون محاولة فهم أو تدبر أو تامل، فأوجدا لكل شيء إلهًا مسؤولًا عنه، كالنار والظلام والشمس وغيرها، ولكن بعد نزول القرآن والعمل به والتأمل في خلق الله والاجتهاد (وليس بالضروري الوصول إلى لُب الأشياء)، بدأ الإنسان يعتمد على عقله، ويسعى لتفسير كل شيء حوله، وإيجاد الأسباب، ولكن ليس بالضروري الوصول لكل الأسباب، ولكن من الضروري البحث والعمل والعلم، فهذا ليس ممنوعًا، ولكن الممنوع هو عدم الاعتراف بعدم الوصول وإيجاد فرضيات وهمية لمجرد رفض الفشل في الوصول إلى الحقيقة.

بالله عليك.. هل تجد بابًا من أبواب العلم الأساسية لم يطرقها ويفتحها أتباع كتاب «اقرأ»؟؟ أترى ماذا فعل كتاب «اقرأ» في العالم؟ هل هذا كتاب يدعو للجهل والرجعية والتخلف والدم؟ هل الكتاب الذي نزل على القبائل العربية المتأخرة عابدة الأصنام كتاب جهل وأساطير ودموية؟ انظر وتأمل حولك ماذا فعل هذا الكتاب بالعرب، بل وليس بالعرب فقط، ولكن بكل من قرأه بقلب سليم، فتلك الأمثلة البسيطة من العلماء لم يكونوا عربًا فقط، بل كانوا أيضًا من أعراق مختلفة.. هؤلاء العلماء الذين صححوا كل أخطاء الماضي العلمية، وتعلموا منها، وأضافوا الكثير والكثير، بل صنعوا العلم الذي تستخدمه أنت الآن.. فلولا «اقرأ» لظل العالم حبيسًا في الصندوق الوهمي المظلم حتى الآن!

ولولا علماء «اقرأ» ما كان هابل ولا أينشتاين ولا جاليليو.. نيوتن داروين.. بور.. بلانك وتسلا وغيرهم.. فهؤلاء ما هم إلا تلاميذ لعلماء كتاب «اقرأ» الذين يعدون الآباء الشرعيين للعلوم الصحيحة وباعتراف وشهادة الغرب.

(وكل نبوءات جول فيرن أو تسلا أو غيرهم لم تكن إلا استنتاجات وتوقعات لتطور العلم الذي وصل إليه علماء المسلمين، وأخرجوه للعالم بفضل كتاب الله، العلم الذي سُرق ونُهب وطُمس)، فعصور الظلمات لم تنتهِ بالثورة الصناعية في القرن الثامن عشر، بل انتهت مع «اقرأ» في بداية القرن السابع، ثم القرن الثامن، حين بدأ نور «اقرأ» يصل لمشارق الأرض ومغاربها، واستمر النور مع القرون المتتالية، وحدث التطور الطبيعي للعلم بحدوث ما يُسمى بالثورة الصناعية، ولكن لم يُرجع الفضل لأهله، لأن الحقد والكره كانا أكبر!

علماء كتاب «اقرأ» نشروا نور العلم في شتى بقاع الأرض لكل البشر، دون كره أو حقد أو تفرقة أو سرقة، فكتبوا الداء والدواء، والمنهج العلمي في البحث، وتحدثوا عن الضوء، وقوانين الحركة، والتربية، والخرائط، والطيران، والتنقل، والترحال، والأرقام، والحساب والآلات والميكانيكا، وقيمة الإنسان وقدره، فكان من السهل أن يأتي من يكمل الصفحة ويكتب آخر السطور! ولكن كان يجب أن يكون منصفًا، وينسب الفضل لأهله، أهل كتاب «اقرأ»... يجب أن تعلم، شئت أو أبيت، موحِّدًا كنت أو غير موحِّد، أن كل أنواع العلوم -بلا استثناء- نزلت من السماء، بأمر الله، وهذا ما أقر به الإنسان، وسجلته الحضارات القديمة، ولكن مع بعض التحريف!

القاعدة الثانية:
القرآن منارة التاريخ...

القرآن كتاب يوثق تاريخ الأمم السابقة، كي تتعلم الأمم التالية إلى نهاية الزمان.. ليس فقط تاريخ الأمم والحضارات، بل تاريخ بداية الحياة وبداية الأرض، فالقرآن لا يريد أن تقف بعقلك عند فترة زمنية معينة، وتسخر حياتك عليها.. القرآن يريد منك أن تسافر عبر الأزمنة، كي تتعلم أكثر، وتفهم الماضي وأصل الأشياء، فتخرج بحاضر ومستقبل أفضل..

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]

القرآن يبدأ معك من تاريخ بداية الحياة والأرض والسماء، اللتين بدآ من نقطة واحدة، ولكن بأمر خالق مدبر، وليس صدفة انفجار!!

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]

القرآن يحدثك عن تاريخ نشأة الأرض، وكيف بدأت عليها الحياة...

يبدأ عرض التاريخ على مسرح الأرض.. وطبعًا أهم فصوله هي الفصول التي بطلها الإنسان، ولكن هل قبل الإنسان لم يكن هناك فصول للتاريخ؟.. القرآن أعطى إشارة لمن يقرأه على وجود حياة وزمن وصراعات قبل خلق الإنسان على الأرض، من خلال قوله تعالى:

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]

وأيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]

لا يعلم الغيب إلا الله.. فقول الملائكة لله «أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء» ليس مبنيًّا على معرفة مستقبل الإنسان، ولكن قراءة لتاريخ من سكنوا الأرض قبل البشر، سواء كانوا ديناصورات، أو جنًّا أو حنًّا أو بنًّا، أيًّا كانت الأسماء التي أطلقها المؤرخون على الكائنات التي سكنت الأرض قبل البشر.. فما عليك إلا السعي وراء الحقيقة، ولكن بدون تزييف!!

الفصول الأكثر إثارة في قصة التاريخ هي الفصول التي بطلها الإنسان... يخبرنا الله -تعالى- في القرآن أن أول إنسان خلقه الله هو آدم، وخلقه الله بيده من طين الأرض، ونفخ فيه الروح، وعلمه كل شيء، كما خلق له زوجه من ضلعه، وهي حواء، وأسكنهم الله جنة، وعلَّم الله -تعالى- آدم أسماء كل شيء، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، فآدم منذ أن خلقه الله -تعالى- وهو يعده للخلافة في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وبالفعل بمشيئة الله هبط آدم وحواء من جنة الله إلى مستقرهم الأرض، بعد أن عصى آدم ربه، واستمع لإبليس، قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥)﴾ [الأعراف: ٢٤-٢٥]، وكان ذلك من حكمة الله -تعالى- أن يعلم آدم أن إبليس هو عدوه وعدو ذريته إلى يوم الدين، قال تعالى﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، فمع بداية تاريخ البشر أوضح الله لآدم طريق النجاة

وطريق الهلاك، والعدو والصديق، وعليه هو وذريته العمل والاختيار:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]

وَقُلْنَا يَا آدَمُ أَسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ (٣٥) البقرة

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ السِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِين(٢٢) سورة الروم

وبعد أن نزل آدم وزوجته حواء إلى الأرض أنجبوا أطفالًا لإعمار الأرض، وعلم آدم أبناءه الحق، وطاعه الله، والعدل، وعمل الخير، وترك الظلم، وحذَّرهم من إبليس، وفعل المعاصي، وعلمهم علوم الأرض والنبات والحيوان والبناء وغيرها من العلوم الدنيوية.. فكان من أبنائه من اختار طريق النجاة، ومن اختار طريق الهلاك، كما ذكر لنا القرآن:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) المائدة

وقتل أحد أبناء آدم أخاه، وكانت أول جريمة قتل على الأرض، وهابيل هو أول إنسان تُراق دماؤه على الأرض، ولم يكن يعرف أخوه قابيل ماذا يفعل بجثته، فأرسل الله له غرابًا ليعلمه كيف يواري جثة أخيه!

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (٣١) المائدة

وهذا دليل من الله -تعالى- لأصحاب العقول على أن الإنسان ما كان ليعرف شيئًا من تلقاء نفسه، إلا من بعد أن يتعلمه، فالعلم تعلُّم.

وبعد وفاة آدم وزوجته كان هناك أبناؤهم الصالحون، أتباع الحق الذي نزله الله على آدم، وكان هناك أيضًا أبناء القاتل قابيل وسلالته الفاسدة، ومع مرور الزمن كبر واتسع الصراع بين الحق والباطل، وزادت النفوس الضعيفة التي سيطر عليها الشيطان بسبب البُعد عن الله، وأنزل الله رسالاته على رسله كي يدعوا الناس إلى الله، ويحذروهم من عواقب معصيته، وكان من هؤلاء الرسل سيدنا إدريس صاحب العلم الغزير، الذي كرمه الله -تعالى- به (والذي ينسب البعض له الكثير من علوم الحضارات القديمة)، وإلى أن جاء سيدنا نوح ولم يتبعه في الحق إلا قليل، فأنزل الله الطوفان ليقضي على الظالمين، ولم يُبقِ إلا على نوح ومن تبعه في سفينته.

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٣٩) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١)﴾ [هود: ٣٨-٤١]

وبعد استقرار السفينة على جبل الجودي، نزل نوح -عليه السلام- ومن معه من أهل الحق والحيوانات والطيور من ذكر وأنثى، وبدأوا في إعمار الأرض، وكان لنوح ثلاثة أبناء مؤمنون نجوا معه، وهم حام وسام ويافث، استقروا هم وذرياتهم في مناطق مختلفة من الأرض، وتعلموا من العلم الذي أنزله الله على رسله قبل وبعد الطوفان، وقاموا بإعمار الأرض، ووُلدت كل حضارات العالم المختلفة، والأجناس المختلفة التي

نعرفها اليوم من ذرية أبناء سيدنا نوح -عليه السلام-، قال تعالى: (﴿**وجعلنا ذريته هم الباقين٧٧**﴾ **سورة الصافات**)..

ودائما كان هناك الصالح والطالح، والمؤمن والكافر، وأنصار الحق والباطل، وأتباع العلم النافع الذي أنزله الله لعباده لتستقيم حياتهم ويعمروا الكون، وأتباع العلم الضار الذي أنزله الله ليختبر به نفوس عباده، وهو السحر، قال تعالى﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ **[البقرة: ١٠٢]**..

وذكر لنا القرآن الكريم أمثلة من حضارات ما بعد الطوفان، كالحضارة البابلية والمصرية القديمة وحضارات شبه الجزيرة والكنعانيين، وأقر القرآن الكريم أن الحضارات كانت في كل أنحاء الأرض، واختلفت من حيث اللغة والعرق، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾ **[الروم: ٢٢]**، وقال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا**﴾ **[الروم: ٩]**، فالقرآن الكريم يؤكد لك أن الأرض سابقًا كانت عامرة من جميع أرجائها، وكان أهل الحضارات السابقة أصحاب قوة وعلم ومعرفة، وهذا ما أعتقد أن الجميع يقر به، وهذا هو التاريخ الذي أقر به كل علماء التاريخ والجغرافيا

والجيولوجيا بعد القرآن الكريم بسنوات طوال، وأثبتته الأدلة الدامغة على بدء تجمعات البشر والحضارات حول منابع المياه، كالأنهار والمياه الجوفية، وأن أول تأسيس لنظام حكم الدولة كان في بابل التي ذكر الله ملكها في القرآن بقوله: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وكذلك علماء اللغة، الذين أقروا باختلاف اللغات بين الحضارات، كالسومرية والبابلية والهيروغليفية والعربية والعبرية.

كل هذه أدلة دامغة يراها الجميع بعيدًا عن التزييف والتحريف... وهنا تسمع أذني صوتًا قادمًا من بعيد ينكر هذا التاريخ، ويقول أن أول إنسان منتصب ظهر في إفريقيا من أكثر من ١٠٥ مليون سنة، ثم الإنسان العاقل من حوالي ١٠٨ ألف سنة، وهناك طبعًا مرحلة إنسان الكهوف والعصر الحجري، والتي قد ترجع إلى أكثر من ٣٠٣ مليون سنة، (وسأخبرك لاحقًا لماذا يصرون على إرجاع تاريخ البشر والأرض إلى ملايين، بل مليارات السنين للوراء!!)

اسمح لي أن أطرح عليك بعض الأسئلة بخصوص هذا التاريخ الأسطوري:

أول أسئلتي: يُقال أن هناك آثارًا لأدوات حجرية استعملها الإنسان القديم من أكثر من ٣ مليون سنة، فلماذا لم تظهر الحضارات إلا من حوالي ١٠ آلاف سنة أو أكثر قليلا؟!!

البعض يرجح أن السبب هو تأخر اختراع اللغة والكتابة... فمنذ ما يقارب عشرة آلاف سنة كان هناك العديد من اللغات التي تُنطق على الأرض، كالسومارية والسريانية والصينية والعبرية والعربية، فلمَ كان الفقر السابق في اللغة والكتابة قبل تلك الفترة!! لماذا تأخر الإنسان في اكتشاف واختراع اللغة والكتابة لمدة ملايين السنين، ثم فجأة يحدث انفجار لغوي في آخر عشرة الأف سنة فقط؟؟ من صاحب

الفضل في هذا؟ من اخترع اللغة والكتابة؟! ومتى تحديدًا؟! أليس اختراع كهذا يستحق التسجيل والتقدير ليوم الدين؟! وعملية إيجاد الحروف وتكوين الكلمات والقواعد والجمل ألا تحتاج إلى فتره من الزمن وعدد كبير من صناع وعلماء اللغة؟!! كيف لم يسجل أصحاب هذا الفضل أسماءهم بأحرف من ذهب؟ من هم مؤسسو اللغة السريانية أو السومرية أو العربية؟! هل كانوا كلهم بهذا السمو وإنكار الذات؟ لن تستطيع إلا ذكر أول من تحدث بهذه اللغات، وليس من اخترعها وأوجدها من عدم، ووضع كل حروفها وقواعدها!!

قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾ **[الروم: ٢٢]**، **وقال تعالى**﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)**﴾ **[الرحمن: ٣-٤]**، ولماذا إلى يومنا هذا لم تُخترع لغة جديدة، فقط قمنا بتحريف بعض اللغات الأصلية أو تبسيطها والاقتباس منها، كما حدث في الإنجليزية أو الفرنسية.. فقط قمنا بالتلاعب في حروف وقواعد وكلمات كانت بالفعل موجودة!!

ثم يأتي السؤال الثاني: إذا افترضت معك أن هذا النوع من الإنسان المنتصب هو حلقة بين اللا عقل والعقل، فهو أعلى من الحيوانات وأقل من عقول البشر الحديثة، يأتي هنا سؤالي: من أين جاء هذا النوع؟؟ هل ستقول من القرود!! وهنا يأتي الرد من العلماء الذين أكدوا أن هذا يستحيل علميًّا وعمليًّا.. يستحيل أن يتطور كائن لكائن آخر أرقى، (ولا يوجد أي دليل مادي على هذا يا من تصدق في العلم فقط)، ويأتي في خاطري بعض الاستفسارات: من علَّمه الأشياء التي لم يكن يعرفها أسلافه، وإلى يومنا هذا لا يعرفونها؟! لماذا عرفها الإنسان المنتصب، ولم يعرفها القرود؟! هل إذا تركنا أطفالنا بدون تعليم فسيتعلمون ما لا نعلمه نحن؟! إذن لماذا نرسلهم إلى المدارس؟!!

ننتقل إلى السؤال الثالث: كيف عمروا الأرض؟؟ الإنسان الأول، المنتصب الأول، كان ذكرًا أم أنثى أم ظهر الاثنان معًا؟ وبعد اختفاء هذ المنتصب وظهور أول إنسان عاقل، هل كان ذكرًا أما أنثى أم ماذا؟

سأفترض معك أنه حدث تطور بالصدفة لإيجاد الإنسان الذكر، ومن عجائب القدر يحدث مرة أخرى تطور سريع لإيجاد الأنثى!! هل كان وقت إيجاد الذكر هو نفس وقت إيجاد الأنثى؟؟ تطور سريع!! أم حدث التطور لكل سلالة القرود وتحولوا إلى بشر؟!! ولكن معنى هذا اختفاء القرود، وهذا لم يحدث!! من علَّم الإنسان الأول -منتصبًا كان أو عاقلًا- التكاثر؟! ومن علَّم القرود التكاثر؟! بالتأكيد أسلافهم، فالقرود تطوروا أيضًا من كائنات أخرى أليس كذلك؟!

أنا أسأل كل تلك الأسئلة كي ألفت انتباهك إلى أمر مهم، وهو أن أسلاف كل هذه الكائنات سترجعها في النهاية إلى الكائنات أحادية الخلية في البحار، كانت تتكاثر بالانشطار، فمن علَّم الكائنات ثنائية الجنس التكاثرَ؟! (لا تقل لي أن الجنس لا يحتاج لتعلم، فأنا وأنت نتعلم كل شيء عن العلاقة الجنسية، والدليل على ذلك المناداة دائمًا بنشر الثقافة الجنسية، وتعلم الجنس في كل دول العالم)...كما أن في رحلة التطور المزعومة كان هناك كائنات تبيض ولا ترضع أطفالها، ثم تطور منها كائنات تحمل وتلد وترضع أطفالها، فمن علَّمها هذا الأمر الجديد؟! من علمها أن ترضع أطفالها من ثديها بدلًا من أن تبحث لها عن طعام كما كانت تفعل الموديلات الأقدم؟!

هل تأمن على ترك رضيع مع امرأة مجنونة غير عاقلة؟؟ مع أن الوحوش المفترسة في الغابات تحافظ على صغارها من مخالبها الحادة، فما الفرق إذن والاثنان بلا عقل؟؟

لماذا عندما يختفي العقل عند الإنسان لا ينزل درجة في الهرم التطوري ويصبح كبقية الحيوانات!! هذا لا يحدث! فلماذا الإنسان المجنون الذي يفقد عقله لا يستطيع أن يفعل ما يفعله الحيوان غير العاقل!!

إن لم ينشأ الإنسان في بيئة إنسانية عاقلة متعلمة، فلن يكون قادرًا على التعلم والتطور، ولا يستطيع أحد التعلم بدون معلم، وهذا ما يقره العلم، والأمثلة كثيرة، فكيف تعلم أول إنسان علوم الحياة المختلفة؟؟ فعلى سبيل المثال، هناك بعض القبائل التي انعزلت عن العالم وتعيش في جزر نائية، لم تتقدم أو تتطور، ولا يستطيع أحد أن يفهم أو يتعلم لغة التواصل بينهم، (لأنها ليست لغة بالمعنى الصحيح للُّغة، هي فقط وسيلة للتواصل)، ولا هم يفهمون لغتنا، (لأنه لم يعلمها لهم أحد)، فلماذا لم يتعلموا ويتطورا كما تطور إنسان الكهف ويصنعوا الحضارات!! (كل القبائل التي انعزلت عن العالم ولم تتعلم المزيد، لم تتطور من تلقاء نفسها، لأنه لا علم بدون معلم، ولا تطور بدون علم، ولا علم إلا من عند الخالق العليم)..

كل ميسر لما خُلق له... فالإنسان خلقه الله ليكون خليفته في الأرض، كي يعبده ويعمر الأرض ويتأمل في كل شيء حوله، ويتعلم كي يتطور وينجح، لذلك خلقه الله على أفضل هيئة، وأعطاه العقل، وعلمه كل شيء يحتاجه ليبدأ رحلة الخلافة على الأرض، وأعطاه حرية الاختيار بين الحق والخير والعدل الذي علمه له، وبيّن الظلم والباطل والدموية... لذلك سيحاسبنا الله على ما أعطانا من عقل، ماذا فعلنا، وماذا كان اختيارنا!!

ألم يخطر في بالك سؤال: لِمَ لم تصنع الحيوانات حضارات؟؟ لماذا لم تنافس الحيوانات المفترسة الإنسان على سيادة الأرض؟! فمثلًا لمَ لم تقضِ الأسود على

البشر؟؟ لماذا لا يستطيع أي مخلوق صنع حضارة وتطور إلا إذا كان في ثوب إنسان!! ولمَ لم يتطور كائن الإنسان إلى كائن أرقى إلى الآن!! من أوقف عجلة التطور؟!

لذا عندما يفقد الإنسان عقله، يفقد قدرته على الخلافة في الأرض والإعمار والتطور والتعايش، وحتى ورعاية الأطفال، مع العلم أن الحيوانات التي بلا عقل لديها القدرة على رعاية أطفالها.

نعود إلى القرآن.. فالقرآن تحدث عن حضارات ما بعد الطوفان، وبشكل دقيق تكلم عن نشأة الحضارات الأولى على ضفاف الأنهار، كبابل من العراق، وأول أنظمة الحكم التي عرفها العالم، وتحدث أيضًا عن الحضارة المصرية القديمة على ضفاف نهر النيل وفروع نهر النيل التي كانت متعددة في الماضي، قال تعالى: ﴿**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَوَهَذِهِ الْأَنْهَارُتَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ **[الزخرف: ٥١]**، وتحدث عن هجرة البدو إلى مصر القديمة من خلال قصة يوسف -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿**إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ**﴾ **[يوسف: ١٠٠]** وتحدث عن قوة الكنعانيين في فلسطين قال تعالى: ﴿قَالُوا يَامُوسَى **إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ**﴾ **[المائدة: ٢٢]** ودخول بني إسرائيل إليها فيما بعد، ونشأة القبائل العربية في شبه الجزيرة، وصرعات الروم والفرس، واختلاف اللغات والألوان بين البشر، واتساع أطراف الأرض بالحضارات، قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا**﴾ **[الرعد: ٤١]**

وكثيرا مما جاء في هذه الحضارات إذا نُقي من تحريف الشياطين والكهنة والطغاة ستجده يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم، فمثلًا في الحضارة المصرية القديمة كان هناك الإله نوو إله الماء، والذي بدأ بعده كل شيء، والإله أتوم الذي كان وحده وأوجد

كل البشر، وكان ذكرًا وأنثى.. أليس هذا تحريف لسيدنا نوح وسيدنا آدم؟! ولك بعد التحريف والإشراك بالوحدانية!

كما أن طوفان نوح ذُكر أيضًا في معظم الحضارات القديمة، ولكن مع التحريف. كما أكدت كل الحضارات القديمة على وجود القوة الكبرى، التي أوجدت الإنسان ومنحته كل ما يملكه من عقل وقوة وعلم وكل مقاومات الحياة السليمة. الغريب أن تلك الحضارات التي تقف أمامها بالانبهار والإعجاب والاندهاش، وتغرق في بحر أسرارها، ولا تستطيع كشف سر واحد منها، لم تذكر أبدًا إنسان الكهف والمنتصب!! هذه الحضارات التي تطورت في علوم الرياضيات والفلك وغيرها، لم تذكر أبدًا شيئًا عن تطور أو قردة، رغم أنهم كانوا أقرب إليهم منا!! لم تُذكر هذه الأساطير على مسرح الدنيا إلا بعد داروين، وسرقة علوم علماء المسلمين، ومحاولة طمس الهوية الإسلامية في كل الأرض. وهذا هو سبب محاولة إرجاع تاريخ البشر والأرض إلى ملايين ومليارات السنين، كي يناسب الوقت الذي يحتاجه التطور الداروني للحدوث، فالتطور من أحادي الخلية إلى إنسان يحتاج ملايين ومليارات السنين!!

وقد أوضح الله لعباده في القرآن أن هناك من يحرفون الكلم عن مواضعه، ويزيفون كل شيء، ويقتلون من أنصار الحق والعدل، وهؤلاء من غضب الله عليهم ولعنهم وجعل من أسلافهم العاصين قردة: ﴿**وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**﴾ **[المائدة: ٦٠]**، ولذلك هم يسعون لإلحاق هذا العار، والخزي والذل بالبشر أجمعين، فهم يرون بقية البشر أقل منهم، فيريدون أن يجعلوا كل أسلافنا قرودًا، فهم دائمًا لا يعترفون بأخطائهم، ويعتقدون أنهم على قمة الهرم الإنساني، ويخلطون الحق بالباطل، ويكتمون العلم والحق الذي أعطاه الله لهم، اعتقادًا منهم

أن هذا يجعلهم السلالة الأفضل والأرقى.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]

قال تعالى﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣]

فالمطلوب أن تكون محصلة التاريخ النهائية كونًا جاء بالصدفة، وبشرًا تطوروا بالصدفة، وبالتالي علومًا بشرية جاءت بالصدفة، فلا يوجد من يستحق التقدير أو التمجيد أو الشكر على شيء. الغريب أنه ليس هناك دليل واحد على أي صدفة واحدة من هذه الصدف!!!

القرآن يطلب منك النظر في الحاضر والماضي والمستقبل، كي تعلم قدرة الله الخالق، ويترك لك الحكم والاختيار، ولا يجبر عليك نظرية محددة، وأيضا لا يخالف العقل والمنطق أبدًا.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]

القاعدة الثالثة:
القرآن نور الدين

وهنا لن أتحدث عن أوامر الله ونواهيه، ولكن سأتحدث عن معنى الدين؟ ما هو الدين؟ وما معنى دين الإسلام؟ وهل حقًّا هناك أشخاص لا دينيين؟

الدين في اللغة هو الفكرة أو العقيدة أو المذهب أو الطريقة التي يتبعها الإنسان في أمور حياته المختلفة، وأيضًا يعني الحكم وتنظيم أمور الحياة... وأيضًا التقدير والتعظيم والاعتراف بالفضل...إذن فإن الدين الإسلامي هو العقيدة والمذهب على طريقة الإسلام والاحتكام، له إذن فما هو الإسلام؟؟

الإسلام له معنيان:

الأول أن تسلم وجهك لله تعالى، وتؤمن بوحدانيته، وتُسلم لأوامره ونواهيه، وتؤمن بقدرته وفضله، وأنه القادر والأقوى والأكبر، وأنه لا أحد يستطيع نفعك أو ضرك إلا بأمره، وهو من يكافئ ويعاقب، وهو من يحيي ويميت، وهو سر وجودنا ووجود الكون كله، وأن كل شيء هالك إلا هو، والإيمان والاقتناع والتصديق برسله وملائكته وكتبه أجمعين، وقدره خيره وشره..

أما المعنى الثاني، هو السلام بين الناس، وعدم إرهاب أو تخويف الإنسان أو الحيوان، كما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «المسلم من سلم الناس لسانه ويده».

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ٢٨٥﴾ سورة البقرة.

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ على إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ موسى وَعِيسَي وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ٨٤﴾ سورة آل عمران.

وللتوضيح يجب طرح بعض الأسئلة المهمة، ومنها:

هل دين الإسلام هو دين محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحده؟؟

لماذا يخلق الله البعض مسلمًا والبعض الآخر غير مسلم، ثم يدخِل المسلم الجنة وغير المسلم النار؟

هل على المسلم معاداة غير المسلم فعلًا أو قولًا؟؟

تعالَ نحاول الإجابة على هذه الأسئلة بالمنطق والدليل..

أولًا الإسلام ليس دين الرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وحده فقط، بل هو من أكمل رسالة الإسلام.

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ٦٧﴾ آل عمران

﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨]

إذن الإسلام ليس دينًا خاصًّا بمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بل هو دين الله -تعالى، أنزله للبشر لعبادته وتوحيده واستقامة حياتهم، أنزله الله على آدم -عليه السلام-، واكتمل بالرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لكل الأرض، ولذلك تم ذكر الأنبياء والرسل السابقين باستمرار في القرآن، فهم الأوائل الذين تعلم الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من قصصهم الصبر، وتعلم أيضًا أتباعه أن العاقبة على من ظلم وتكبر على الله... فإن كان دين الإسلام دينًا مستقلًّا لمحمد، فلمَ ذكر الأنبياء والرسل السابقين؟؟

(ذُكر سيدنا موسى في القرآن الكريم ١٣٦ مرة، وسيدنا عيسى ٢٥ مرة، وسيدنا إبراهيم ٦٩ مرة، وسيدنا نوح ٤٣ مرة، عليهم السلام جميعًا، بينما ذُكر سيدنا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في القرآن ٤ مرات باسم محمد، ومرة واحدة باسم أحمد!!)

وفي الدين الإسلامي لا يكتمل إيمان المسلم إلا إذا كان مؤمنًا بكل رسل الله كتبه السابقة، ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**﴾ **[البقرة: ٤]**

﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**﴾ **[الأحزاب: ٧]**

فدين الإسلام لا يعترف فقط بنبي واحد، أو رسول واحد، أو اثنين أو ثلاثة، بل يعترف ويؤمن بكل الرسل والأنبياء، وأنهم أكملوا عملًا واحدًا وهو دين الإسلام.. فعلى سبيل المثال: الرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- توفي ومات، ولكن الرسول عيسى -عليه السلام- لم يمت إلى الآن، بل هو حي عند الله، وسيعود إلى الأرض لينصر أهل الحق على الباطل في أواخر الزمن!!

وأيضًا مثال آخر: الكعبة التي هي قبلة الإسلام والمسلمين، رفع قواعدها سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل -عليهما السلام-.. وعيد الأضحى في الإسلام هو ذكرى افتداء سيدنا إسماعيل بكبش من عند الله..

وأيضًا في الإسلام.. الصلاة فُرضت في رحلة المعراج، وكانت خمسين صلاة في اليوم، ولكن سيدنا موسى -عليه السلام- هو من طلب من سيدنا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الرجوع إلى الله للتخفيف، وفعلًا خُففت الصلاة في اليوم من خمسين إلى خمس صلوات فقط..

كل هذا يشير إلى أن الإسلام هو رسالة الله للناس في الأرض، بدأت بنزول آدم -عليه السلام-، واكتملت بسيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام-..

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ على إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ موسى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ سورة آل عمران٨٤

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٥٢)﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢]

هنا نأتي إلى سؤالنا الثاني والشائع: لماذا يخلق الله بعض الناس مسلمين يدخلون الجنة، والبعض الآخر بعقائد أخرى يدخلون النار؟؟ ولكن هل الله هو من يخلقهم

مسلمين؟ هل الله هو من يوجد المعتقدات والأفكار بعقولنا؟ هل من يبدأ حياته بفكرة أو معتقد معين يظل مؤمنًا بها أو به طيلة حياته، أم من الممكن أن تتغير؟

نضرب مثالًا للتوضيح.. لو افترضنا أن هناك شخصًا يؤمن بفكرة الرأسمالية، وسعى من خلالها للعمل والاجتهاد كي يصبح غنيًّا، وتزوج من امرأة غنية من عائلة رأسمالية أيضًا، وأرادوا أن ينجبوا طفلًا، وأراد الله أن يرزقهم بطفل، فهل من الممكن أن يُولد هذا الطفل شيوعيًّا فقيرًا؟؟ بالطبع لا، لأن والديه سعيا للعمل والثراء من خلال الإيمان بالرأسمالية، فمن الطبيعي أن ينتج عن عملية التزاوج تلك طفل (وهو لا يزال غير مسؤول عن نفسه) تابع لتلك الظروف والأفكار التي يؤمن بها والداه اللذين اختارا هذه الأفكار وطبيعة الحياة تلك، وسعيا لها بالعمل والكد والاجتهاد... ولكن عندما يكبر الطفل وينضج عقله وتصبح له أفكاره المستقلة وتجاربه ورؤيته، سيظهر لنا اختيارات مختلفة.. منها أن يمتلك ذلك الشاب البالغ أفكارًا لتوسيع أعمال وأنشطة والده، وتصبح العائلة أكثر ثراءً، وأيضًا من الممكن أن يضيع كل أموال والده... ومن الوارد أن يؤمن بالفكر الشيوعي ويعادي نظام وأفكار العائلة، ويستقل عنهم...كل هذا يحدث بالفعل حولنا كل يوم!

كل إنسان يعتنق ويقتنع بفكرة معينة، يحاول إقناع غيره بها، ولا يوجد أسهل من أطفاله المسؤول عنهم، فبالتالي سيسعى لنقل وتوريث تلك الأفكار لهم، ولكن مع بلوغ هؤلاء الأطفال وتنوع الاختيارات أمامهم وتعاملهم مع أنماط مختلفة من البشر، وخوض تجاربهم الخاصة، قد تتغير الأفكار الموروثة في عقولهم، فالأطفال مع ولادتهم يكونون كالمستمع الذي يسمعك طويلًا، ولكن لا يرد عليك إلا عندما يكون صاحب قرار وتجربة، فلا يوجد طفل مؤمن بمعتقد أو فكرة، وإنما هو مردد لبعض الجمل والأفعال التي يسمعها ويراها في البيئة المحيطة به!! (لذلك لا يحاسب الأطفال)..

إذن لو اختار رجل أن يعتنق الدين الإسلامي، ثم قرر أن يتزوج من امرأة مسلمة كي ينقلا تلك العقيدة إلى أبناء جدد، إن أراد الله لهم الأبناء، في هذه الحالة ونتيجة اختيار الأب دين الإسلام، فسيرى الطفل أمامه من أول لحظة له على الأرض الطقوس الإسلامية، وسيبدأ الطفل بتقليدها مع العمر، ولكن تذكر أنه فقط يقلد شيئًا لم ير غيره إلى الآن، ولا يعرف عندما يتقدم في العمر ويمر بتجارب الحياة المختلفة هل ستتماشى تلك الأفكار والمعتقدات مع آماله وطموحاته وأحلامه أم لا! هل يختارها مهما وقع في صعوبات، أم سيتنازل عنها أمام تلك الصعوبات؟! ونتيجة لتلك الاختيارات الحرة سيكون تصنيفه مهما كان للأوراق رأي آخر، لأن الاختيار الحر هو ما يحدد طريقنا في الحياة وبعد الموت، وليست التبعية أو الأوراق، والقرآن الكريم يوضح ذلك في أمثلة عديدة.. فالقرآن يوضح أنه كان هناك أنبياء وصالحون، وكان أبناؤهم على عقيدة غير عقيدتهم، لأن ذلك كان اختيارهم..

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الكَافِرِين (٤٢)قَالَ سَآوِي إِلَي جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا المَوْجُ فَكَانَ مِنَ المُغْرَقِينَ(٤٣)﴾ سورة هود

﴿وَأَمَّا الغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا(٨٠)﴾ سورة الكهف

﴿والَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ القُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين(١٧)﴾ سورة الأحقاف

كما أن القرآن يوضح أن عقائد وأفكار الآباء مهما كانت قوتها لا تُورث، ولا نحكم على الإنسان إلا عندما يمتلك الاختيار الحر، فالتقليد لشيء لم أرَ غيره ليس إيمانًا أو عقيدة! فالله -تعالى- لا يخلقنا بعقيدة معينة، فليس هناك من يولدون مسلمين ويمتلكون امتيازات الجنة، ولكن هناك من يختار الإسلام بإرادة حرة فعلًا وقولًا كما فعل المسلمون الأوائل واختاروا هذا الدين... والقرآن الكريم يؤكد على ذلك، أن الدين هو اختيار حر بين عدة اختيارات، وليس وراثة على ورق..

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] فكل إنسان مهما كان مكان عقيدة أهله وبيئته، سيُختبر ليختار الحق أو الباطل، وهذا ما سيُحاسب عليه أمام الله -سبحانه وتعالى- وليس أي شيء آخر.

نأتي إلى الجزء الثاني من السؤال: هل كل من يُطلق عليه لقب مسلم سيدخل الجنة؟؟ لا، ليس كل من يُطلق عليه لقب مسلم سيدخل الجنة... لن يدخل الجنة إلا من اختار الإسلام فعلًا وقولًا مهما كانت جنسيته أو بلده أو أهله، والقرآن يوضح لنا ذلك، أنه لن يدخل الجنة إلا من اختار الإيمان وتوحيد الله قلبًا قبل قالبٍ، وليس بالعادات المتوارثة.. فعلى سبيل المثال عبادة الحج من أعظم العبادات في الإسلام، ورغم ذلك فالقرآن يقر بأنه ليس كل حاج في الجنة، فالجنة ليست إلا لمن اختار الله بقلبه قبل أي شيء وكل شيء..

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاق(٢٠٠) وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار(٢٠١) أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ(٢٠٢)﴾ سورة البقرة

﴿ مِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ(٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ(٩) ﴾ سورة البقرة

فالأفعال الروتينية العادية لا تجعلك في الجنة، بل القلب الذي اختار الله، ويسعى إلى جنته هو من سينالها... فلا مصلحة مع الله، فإن أردت جنة الله فعليك اختياره قلبًا وفعلًا، لأنه هو الخالق والمنعم والقادر، وهذا الاختيار ليس بالوراثة، ولكن بالتجربة والاقتناع..

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]

آخر جزئية في السؤال الثاني: هل كل غير المسلمين سيدخلون النار؟

كل من آمن بوحدانية الله وملائكته وكتبه ورسله الذين أرسلهم الله في فترة حياته هو مسلم، مهما كان لونه أو بلده أو أهله، وغير ذلك فهو ليس مسلمًا... إن الثواب والعقاب مقترنان بالاختيار بين الحق والباطل، بمعنى أنه أي إنسان لم يصل إليه الحق كي يختار بينه وبين الباطل فلن يُعذَّب.

﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولًا(١٥) ﴾ سورة الإسراء

﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٦]

فالهدى والضلال هما اختياران لعقل بالغ ناضج مستقل، يُعرض عليه الاختياران، فإن لم يتوافر الاثنان فليس هناك اختيار، وبالتالي ليس هناك نتيجة للاختيار.. كما أخبرنا الله -تعالى- في كتابه العزيز أن الإنسان المجبر على اختيار الباطل لا يُحاسب إلا على ما في قلبه:

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ١٠٦﴾ سورة النحل

فغضب الله أو ثوابه لا يكون إلا على اختيار حر نابع من القلب أولًا، لذلك أخبرنا الرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن من لا يملك حرية الاختيار، كالطفل أو النائم أو المجنون، ليس عليهم ذنب، فهم مرفوع عنهم القلم، لا يُكتب لهم ولا عليهم... فالجنة لمن اختار الله والحق وعرفه بقلبه أولًا، والنار لمن يختار الباطل.. والعلاقة بين الإنسان وربه ليست علاقة وراثية روتينية، فمن الممكن أن يكون هناك طالب يجلس يوميًّا أمام كتبه، وفي النهاية يرسب في الامتحان لأنه كان جالسًا بجسده فقط، وكان قلبه في مكانٍ آخر ومع شيء آخر، فهو لم يجلس أمام الكتاب أملًا في النجاح وحبًّا في العلم، ولكن لأن أهله قالوا له أن هذا هو وقت المذاكرة، وأجبروه على الجلوس أمام الكتاب!!

هنا ننتقل إلى سؤالنا الثالث، وهو في غاية الأهمية، لأنه يوضح الفرق بين الأمانة وبين حامل الأمانة... فحامل الأمانة إن لم يكن أمينًا في إيصالها فستضيع الأمانة، وللأسف هذا ما يحدث.

فنجد اليوم عبر قنوات وصفحات التواصل الإلكتروني الكثير من الأشخاص الذين يتناولون معتقدات وطقوس ديانات أخرى بشكل فيه استهجان وتقليل يصل إلى حد الاستهزاء...

﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّواْ اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ١٠٨ ﴾ سورة الأنعام

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

فالرسول الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصحابته الكرام -رضوان الله عليهم- وكل من اتقى الله واقتدى بهم، لم يُذكر عنهم قط الاستهزاء أو التقليل من أي عقيدة لدى أي أمة أو جماعة، بل كانوا يعلمون أن دورهم الإيمان بالله للناس فعلًا وقولًا (كما نهى الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عن القراءة والتعمق في كتب وأوراق اليهود، فلا يجوز لنا التعمق في معتقدات أخرى إلا من أجل الرد على أي افتراء يصدر على الله أو ملائكته أو رسله، وليس شيئًا آخر) وعلى كل إنسان الاختيار، وعاقبة اختياره هو الذي سيتحملها أمام الله -عز وجل-، فالتقليل أو الاستهزاء من أي فكرة لدى أي شخص لن تجعله أبدًا يتركها، بل سيتمسك بها أكثر، وسيعارضك أكثر، وهذا ما يحدث الآن!!

ولكن المناقشة بالحسنى، وإحساسه بخوفك عليه وتقديرك له يجعله يحترمك ويفكر فيما تقول، وله حرية الاختيار، وهذا ما كان يحدث في الماضي!!

إذًا التقليل والتعامل بأسلوب ساخر يجعلك تكسب شيئًا واحدًا فقط، هو عداوة من تتحدث إليه، وستُحاسب أمام الله أنك أبعدت هذا الشخص عن الحق (وخصوصًا أن الله -تعالى- حذرك من هذا)

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]

يجب على أي إنسان عرف الحق واختاره محاولة إيصاله لغيره، وأن يكون أمينًا مع نفسه ومع غيره في حق الله.. فالإسلام ليس هدفه زيادة الأعداد، بل الهدف هو إيصال الحق للآخر، وإزاله الغمامة من على عينيه، وعلى الآخر حرية الاختيار، فالله -تعالى- هو من منحه حرية الاختيار، ولا يجوز لأحد منعه من ذلك.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ٧]

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]

وهناك قصة عظيمة توضح هذا المعنى حدثت في عهد الخليفة العادل خامس الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن عبد العزيز في فتح مدينة سمرقند، فعندما فتح القائد قتيبة بن الحارث سمرقند، عندما هاجمها على غفلة، وباغت أهلها، ورغم أن هذا طبيعي في الحروب، وهرب الرهبان إلى الجبال، وانتشر الجنود المسلمون في سمرقند، وكان أهل سمرقند يخافون بدرجة كبيرة من المسلمين، ولكن مع الوقت لم يجدوا منهم سوى حسن المعاملة والتقدير... وحدثت مشكلة ذات يوم بين جندي مسلم ومواطن من سمرقند، ووصلت إلى حد الشجار بالأيدي، وظن أهل المدينة أن

الجنود المسلمين سينهالون على هذا المواطن بالضرب... ولكن ما حدث أن الجنود المسلمين تجمعوا بالفعل ليأخذوا زميلهم والمواطن إلى القاضي، الذي بدوره سمع ما حدث من الطرفين، وحكم لصالح مواطن سمرقند، وعندما علم أهل سمرقند بهذا الحكم، ذهب أحد الشباب إلى الرهبان في الجبال، ورى لهم ما حدث، وتعشموا في عدل المسلمين، وبالفعل بعثوا بشكوى إلى أمير المؤمنين عمر بن العزيز، يشكون فيها القائد قتيبة، ولكن هل تعلم لماذا؟؟ لأن الله أمر المسلمين قبل أي فتح أن يخيروا أهل المدينة بين الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو القتال.. وقتيبة لم يفعل هذا، ولم يخبر أهل سمرقند، بل باغتهم... وبعد أن أوصل أمير المؤمنين الشكوى إلى القاضي، أحضر الرهبان والقائد قتيبة، وقال الرهبان أن القائد قتيبة لم يخبرهم بدفع الجزية أو القتال أو الدخول في الإسلام كعادة المسلمين مع أهل المدن التي يفتحونها، ثم سأل القائد قتيبة وقال أنه كان يعلم قوة أهل سمرقند، وأن الحرب خدعة، وأنه جنَّب الطرفين أنهارًا من الدماء.. فسأله القاضي: هل خيرتهم وأمهلتهم قبل دخول المدينة؟ قال القائد: لا.. فحكم القاضي بخروج جيوش المسلمين من سمرقند في ثلاث أيام، أمام ذهول من أهل سمرقند، وبالفعل بعد مرور ثلاثة أيام لم يكن هنالك جندي مسلم واحد في سمرقند، واجتمع أهل سمرقند ليتفقوا جميعًا أن هذا هو العدل المطلق، ودخلوا باختيارهم في الإسلام!

فأعطِ لغيرك الحق في الاختيار، وأفعالك وأقوالك هي ما ستساعده في الاختيار الصحيح، فلا يُعقل أن تكون ظالمًا وفاشلًا وقاتلًا وكاذبًا وغير أمين، وتنتظر أن يختارك أحد!! أنت تحتاج الآخر، وهو يحتاجك، والشيطان لا يحب الشرقي ويكره الغربي، ولا يكره أحمد ويحب جورج، بل يكره كل البشر، حتى اليهودي، ويسعى لإضلال الكل.

فالأفضلية ليست لمن سبق، ولكن لمن صدق، ومن يرفض الوصول للحق ويمنع الناس عنه، أولئك حزب الشيطان

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ٧]

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

يقول الله -تعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]

يتضح لنا من هذه الآية أن الإنسان هو المخلوق الذي ميزه الله بنعمة الاختيار، (والجن أيضًا)، وأن ليس كل من يسجد لله بجسده فقط هو من أهل الجنة، فاختيار الإنسان يكون بقلبه قبل جسده.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]

فكل من أمن بالله ورسله وكتبه في حياته، كالذين اهتدوا بالتوراة مع سيدنا موسى، (ولم يحرفوها أو يخفوها)، والذين نصروا سيدنا عيسى (ولم يفتروا عليه وعلى تعاليمه)، وكل من آمن بأنه سيقف أمام الله ليُحاسب، وعمل عملًا صالحًا، فقد اختار الله قلبًا وقالبًا، واختار النجاة.

وأخيرًا لا يوجد إنسان على وجه الأرض بلا دين، فالدين كما قلنا هو النظام والمنهج الذي يسير به الإنسان، وحتى أكثر الناس عبثًا له دين ومعتقد يسير عليه، وهو دين اتباع شهواته وتلبية نداء غرائزه، ولذلك ترى من يشكك في دين الله يقول أنا أومن فقط بالعلم، فهو يعترف أن له دينًا ومنهجًا هو العلم، أو بالأصح الافتراضات والظن، التي تتناسب مع أهوائه، فقد اختار لنفسه الدين الذي هداه له هواه..

القاعدة الرابعة:
القرآن منارة الإنسانية

إلى جانب النواحي العلمية والتاريخية والدينية، فالقرآن أول من علم الإنسانية كيفية احترام الإنسان، وتحرير العقول البشرية من أي خرافات أو تحكم قوى مختلفة وآلهة متعددة في حياة البشر، وأسس المعاملات المالية السليمة، وآداب الطعام، والاستئذان، وكيفية نجاح الحياة الزوجية، والعلاقات الأبوية التربوية.

قبل كل هذا القرآن الكريم كان أول الكتب التي تحدثت أكثر من مرة عن أهمية الوقت في حياة الإنسان، وأنه أغلى شيء في الحياة، فهو لا يعوض أبدًا، ولذلك أقسم الله به في كتابه الكريم: ﴿**وَالْعَصْرِ**﴾ [العصر: ١] ، ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى**﴾ [الليل: ١] ﴿**وَالضُّحَى**﴾ [الضحى: ١] ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى**﴾ [طه: ١٥] ﴿**وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المنافقون: ١١]

نبدأ بالمعاملات المالية... قبل قصة تاجر البندقية لوليام شكسبير بمئات السنين، تحدث القرآن عن الربا وما ينتج عنه من مشاكل وصراعات في المجتمع، لذلك كان التحذير منه شديدًا

﴿**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ **[البقرة: ٢٧٥]**

ووضع القرآن الكريم الشروط السليمة للتداين لحفظ حقوق جميع الأطراف:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

كما نهانا القرآن عن الغش في الميزان في البيع والشراء، لأن نهاية ذلك الخسارة للتاجر والمجتمع، ويجب أن يتحلى التاجر بالأمانة قبل أي شيء، كي يحافظ على تجارته ومجتمعه.

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)﴾ [المطففين: ٥-٦]

أيضًا حثنا القرآن الكريم على الأمانة المالية، والحفاظ على أموال الغير، وإعطاء كل ذي حق حقه بالعدل...

﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٢]

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]

ولم نغفل ولن نغفل أبدًا -بإذن الله- عن قواعد وشروط الميراث التي وضعها لنا القرآن الكريم، والتي تتواجد كل شروطها في آيات سورة النساء.. تلك القواعد التي تضمن استقامة المجتمع والتقارب بين أطرافه... كما منع القرآن الرشوة والمجاملات لأصحاب المناصب والتقرب إلى الحكام بالمال..

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]

ثانيًا آداب التعامل مع الغير:

القرآن يعلمنا كيفية التعامل مع الآخر واحترام خصوصياته وعدم التجاوز

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧]

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٨]

ويعلمنا البعد عن الضار من الطعام، لما له من تداعيات سيئة على صحة الإنسان:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]

ثالثًا تقدير الإنسان ومحاربة الخرافات والظلم:

دائمًا وعلى مر التاريخ وإلى يومنا هذا يوجد من يريدون إقناع البشر أن هناك قوة خفية عن أعيننا غير الله الواحد الخالق، لديها القدرة في التحكم في مصير البشر، ومعرفة مستقبلهم، وتدمير حياتهم، وسحب حرية الاختيار من عقولهم، وأجسادهم، والغريب أن ما يُسمى بالفن والإبداع يزيد من هذا الإقناع في عقول البشر، ولتتأكد انظر إلى الأعمال الدرامية الأجنبية، ومؤخرًا العربية، والتي تزيد من إظهار ضعف الإنسان أمام تلك القوى الخفية، وقلة حيلته، ومن الممكن ألا يستطيع التخلص من بطشها، ولا تجد سوى بعض الأرقام والدمى والتمائم التي من الممكن أن تحميه... انظر إلى القرآن الذي تقول أنه كتاب رجعي ومتخلف، ويُعيد الإنسان إلى حياة الكهوف.. ماذا يقول وماذا يوضح؟ يحدثنا أن الإنسان مُكرم عند الله، وأن الله خلقه في أحسن صورة، وفضله على كثير مما خلق:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]

وكما قلنا مسبقًا أن الله خلق الإنسان كخليفة له في الأرض، والخليفة هو الأقوى، ومن يتنازل عن تلك الخلافة ويخون أمانة الله باختياره، هو من يصبح ضعيفًا

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٨-٩٩]

كما أوضح الله -تعالى- في القرآن في حواره مع إبليس(الأب الروحي للقوى الخفية التي يخيفون بها العالم من خلال الأعمال الأدبية والدرامية والدجل).. أوضح لنا الله أن إبليس ليس له سلطان على عباد الله الذين يحملون الأمانة، ويؤمنون بالله وحده:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)﴾ [ص: ٨٢-٨٣]

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢]

كما علمنا الله من خلال كتابه الكريم أن الشيطان وكل أتباعه وخططه وحقده ضعيف مهزوم: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]

كما يؤكد لنا القرآن أنه لا توجد أي قوى على الأرض تستطيع معرفة مستقبلك، ولو كان ملك الجان، فلا يعلم الغيب والمستقبل إلا الله -تعالى-، وأنت من تملك صنع مستقبلك بأفعالك اليوم، أنت فقط:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]

وليس هذا فحسب، بل يوضح الله في قرآنه أن الإنسان بتوكله على الله والاستعانة به والسعي والعمل، يستطيع أن يكون أقوى وأكثر تأثيرًا من أي قوى خفية، ويستطيع أن يفعل ما لا تستطيع العفاريت فعله..

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَ إِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)﴾ [النمل: ٣٩-٤٠]

وقبل كل هذا القرآن يسعى إلى خلق روح من التسامح والمحبة، والبُعد عن نشر الوقائع والمكائد بين الناس، واحترام الناس لبعضهم، كي يمنع من البداية دخول الشر بكل أنواعه بين الناس، ويدعونا إلى إقامة العدل الذي به تستقيم الحياة، وحتى مع من تكره: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨]

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) ﴾ [الحجرات: ١٢]

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]

وحرم الله -تعالى- في كتابه العزيز الاعتداء على الآخر بدون حق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]

رابعًا العلاقات الزوجية والأسرية:

القرآن الكريم يقدس العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة، لدرجة أنه يصف الرابط بينهم بالميثاق الغليظ..

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١)﴾ [النساء: ٢٠-٢١]

والقرآن وضح أهمية العلاقة الزوجية والأسرية، وأنها أساس ونواة المجتمع، لذلك فهي مستهدفة من أهل الشر والضلال دائمًا، لتدمير المجتمع:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]

أما عن قيمة الآباء والأمهات في القرآن.. فالله جعل طاعة الوالدين من طاعة الله والإيمان به:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]

كما يحثنا الله في كتابه الكريم على صلة الرحم والتواصل مع الأقارب والمودة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

خامسًا الرفق بالحيوان:

القرآن الكريم كان أول من طالب بالرفق بالطيور والحيوانات.. فالقرآن أوضح لنا أن تلك المخلوقات لديها حياة مثل حياتنا، ويجب على الإنسان أن يحترم ويقدر تلك الحياة، وألا يتدخل في تدميرها من أجل أهوائه الشخصية:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]

سادسًا العنصرية:

جاء الإسلام ونزل القرآن في وقت كانت العبودية أمرًا واقعًا ومُسلمًا به في العالم كله.. ولأن الإسلام دين مساواة وعدل، فقام القرآن الكريم بتشجيع المسلمين على ترك تلك العادة واحترام الإنسان وتقديره، وترى ذلك جليًّا في قوله «تحرير رقبة»، الذي تراه يتكرر كثيرًا في القرآن ككفارة عن الذنوب والأخطاء، تشجيعًا على ترك مبدأ العبودية وإعطاء كل ذي حق حقه على ما يفعل، وليس امتلاكًا وعبودية، وهذا ما حدث فعلًا مع مرور السنوات؛ فالعبودية لم تنتهِ إلا بعد نزول الإسلام، ولم تستمر بصورتها اللا إنسانية إلا في أوروبا وأمريكا، وذلك بسبب سم التحريف الذي وُضع في الكتب السماوية الأولى، الذي جعل الناس درجات ومستويات، يخدم بعضهم بعضًا، ولا يتساوون أبدًا (قسم الناس إلى أبناء حام وسام ويافث)، وهذا ما تراه واضحًا وجليًّا في تعاملات الغرب مع العرب والأفارقة، وتقسيم اليهود لدرجات وطبقات في مجتمعهم الإرهابي الإسرائيلي التوراتي المحرَّف، فالغرب أعلى من العرب والأفارقة، كما حثنا القرآن على التآلف بين الناس والتآخي بينهم بالحسنى، ونبذ التنمر، وكان أول من حافظ على حقوق ذوي القدرات الخاصة في الحياة.

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١]

سابعًا تقبل الاختلاف:

القرآن الكريم يؤكد دائمًا على احترام غير المسلمين الذين لا يعادون الإسلام والمسلمين، فهؤلاء ليس للمسلمين أي حق في عدائهم، بل وجب عليهم احترامهم والتعامل معهم بالعدل والحق... وليس هذا فقط، فالقرآن الكريم يأمرنا بحماية غير المسلمين وتأمينهم ومساعداتهم، إذا طلبوا منا العون والحماية والمساعدة:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]

ثامنًا تقدير واحترام المرأة:

الإسلام والقرآن الكريم أول من دافع عن السيدة حواء أم البشر، ولم يجعلها السبب الرئيسي في عصيان آدم لربه، بل جعل الخطأ والذنب على آدم في المقام الأول، وليس كما حُرف في الكتب السماوية الأولى، قال تعالى: **﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١].**

كما أن القرآن الكريم أكد على أن المرأة تقوم بما لا يستطيع أن يقوم به الرجل، فهي من حملت، ومن أنجبت، فرحمها هو مصدر الحياة، قال تعالى**﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]**

فالحمل والإنجاب هو تعظيم وتشريف للمرأة مصدر الحياة، وليس عقابًا لها، كما كتبت أيدي التحريف في الكتب الأولى، ولذلك جعل الإسلام طاعة وشكر الأم قبل

الأب من أعظم الطاعات التي من يغفل عنها لا يدخل الجنة قال تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا**﴾ **[الأحقاف: ١٥]** .

وتأكيدًا على إقرار القرآن الكريم بأن الرجل لا يستطيع أن يقوم بما تقوم به المرأة قال تعالى: ﴿**وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى**﴾ **[آل عمران: ٣٦]** .

الإسلام حرَّم وجرم وأد الأنثى كما كان يفعل أهل الجاهلية والضلال قال تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ [النحل: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)**﴾ **[التكوير: ٨-٩]** في حين أن في عصرنا هذا قُتل أكثر من ١٦٠ مليون جنين في الصين لكونه أنثى، وهذا ما ذكرته مرارًا فيستندال في كتاب Unnatural selection (الصين التي تحارب الإسلام والمسلمين)

لن تجد أعظم من القرآن في تعظيم وتقدير المرأة، فكتاب الله الكريم كرم المرأة وأعطاها حقها وقدرها في كل شيء، حتى في العلاقة الجنسية مع الرجل، التي يُنظر للمرأة فيها على أنها مفعول به من الرجل، ووسيلة لإشباع رغباته..

القرآن الكريم رفض ذلك لفظًا ومعنى، ولم يجعل المرأة مفعولًا به أبدًا، بل هي من تسمح وتوافق وتختار من يسكن إليها، فالقرآن لم يجعل المرأة مفعولًا به في العلاقة الجنسية إلا في حالة الزنا، لأن في الزنا المرأة هي من تهين وتقلل من شأنها وقدرها، قال تعالى: ﴿**وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ**﴾ **[النور: ٣]** ولذلك حذر الله -تعالى- من الزنا لما يؤدي إليه من كوارث في المجتمع، وعلى رأسها التقليل من شأن المرأة، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ **[الإسراء: ٣٢]**، أما في غير ذلك وفي بقية المواضع في القرآن الكريم لم تُوصف المرأة إلا كفاعل في النكاح، مثلها مثل الرجل، وكيف لا وهي السكن الذي يسكن إليه الرجل! والتقليل من قدر

سكنك، هو تقليل لك في الأساس، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]

قال تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]

فالنكاح ليس شهوة رجل يخرجها في جسم امرأة، بل هي علاقة سكن ومودة، لكل طرف الحق فيها بمنتهى المساواة والتقدير، ولا تتم هذه العلاقة إلا بموافقة ورضا المرأة.

(أما عن افتراءات ظلم الإسلام للمرأة في آيات الميراث في القرآن الكريم، فهذه كلها محاولات فاشلة لإظهار الإسلام مهينًا للمرأة، لأنه بنظرة سليمة سوية سنجد أن الأصل في توزيع الميراث هو المرأة، بدليل قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] معنى ذلك أن الأساس في حساب الميراث وتوزيعه هو نصيب المرأة، وبالنسبة لأن نصيب الرجل ضعف نصيب المرأة، فذلك لأن الإسلام يُلزم الرجل برعاية المرأة والإنفاق عليها في كل نواحي الحياة، سواء كانت أمًّا أو أختًا أو بنتًا أو زوجة، قبل الزواج وبعد الزواج، وحتى الرضاعة ورعاية الأطفال، لذلك فزيادة نصيب الرجل في الميراث مراعاة للمرأة، كي يستطيع الرجل الإنفاق عليها.. أما نصيب المرأة في الميراث فهو لها وحدها، تنفق منه على نفسها فقط في حالة عدم وجود رجل ينفق عليها، سواء كان أبًا أو أخًا أو زوجًا أو ابنًا بالغًا رشيدًا، وحتى بعد موت الزوج لا يوزَّع ميراثه إلا بعد أن تأخذ الزوجة المؤخر المتفق عليه في عقد الزواج، ثم يوزَّع الورث طبقًا لقواعد الميراث.

فالمرأة أبعد عن الرجل في الأمور الاقتصادية والتعاملات المادية، ولذلك جعل القرآن الكريم شهادة الرجل تعادل شهادة امرأتين، فالديون المالية والتعاملات المادية لأنهم أقل دراية بها من الرجال، فالرجال تصنع المال، أما المرأة فهي من تصنع الرجل، فإذا طلبت منك ذكر عشر شخصيات اقتصادية وأصحاب المال والأعمال، فكم سيكون عدد النساء فيهم!!

كل ما حاولت ذكره لك ما هو إلا نقطة في بحر.. سمكة صغيرة في محيط كبير، لو قررت السباحة فيه ستجد عالمًا لا تستطيع حواسك مجتمعة أن تدركه... أرجو منك التجول في هذا الكتاب.. كتاب الله، ولكن اقرأه بنية البحث عن الحقيقة، وليس بنية العداء، فلن تجني من هذا العداء إلا الخسارة الفادحة، فمن يقرأ القرآن بنية الفتنة وتشكيك الناس به، فلن يرى الحقيقة أبدًا، بل سيزيد الله ضلاله ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**﴾ **[فصلت: ٤٤]**..

ويجب أن تعرف أن القرآن ليس كتاب معلومات، بل هو كتاب يهديك إلى الحقيقة في مختلف مناحي الحياة، فهو كتاب يُعمل به وليس يُقرأ ويُحفظ ما به من معلومات فقط!!

القرآن الكريم لم ينزل له تفسير واحد محدد، ولا على الرسول الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كي يعطي للناس الفرصة في الاجتهاد والفهم والعمل، فهو لا يوقفك عند نقطة محددة..

السنة النبوية الشريفة تُعطيك مفاتيح كثيرة تساعدك على فهم القرآن بشكل سليم (رحم الله الإمام البخاري والإمام مسلمًا)

إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين لم يستطع ولن يستطيع أحد أن يثبت خطأ واحدًا في القرآن الكريم، أيًّا كان نوع الخطأ، مع المحاولات المستمرة دائمًا!

«القرآن فوق المستوى العلمي للعرب، وفوق المستوى العلمي للعالم، وفوق المستوى العلمي للعلماء في العصور اللاحقة، وفوق مستوانا العلمي والمتقدم في عصر العلم والمعرفة في القرن العشرين، ولا يمكن أن يصدر هذا عن أميٍّ، وهذا يدل على ثبوت نبوة محمد، وأنه نبي يوحى إليه». الطبيب والباحث الفرنسي موريس بوكاي.

(مايكل هارتس مؤلف كتاب العظماء مئة، وضع الرسول الكريم محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على رأس هؤلاء المئة، لما أحدثه من تغيير خيالي في بلاد العرب وما حولها، وهذا ما كان ليحدث بالوهم والجهل والأساطير والخرافات، بل بكتاب أنزله خالق الكون العليم الذي يعرف ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون)

الآن حان الوقت للرد على سؤالي السابق: لماذا أصحاب هذا الكتاب لا يظهرون بالصورة التي وصفتها للكتاب؟! لماذا لا أرى الأعين تتجه نحوه، بل بالعكس تتجه عكسه غالبًا.. فإن كان هذا الكتاب غيَّر العالم كما تقول، وقد تكون محقًّا في قولك أين هو من أصحابه؟؟ وأين أصحابه منه؟؟ انتظر الإجابة...

الاستفسار الثالث
أنا... والشيطان... وهواك!

إجابة هذا السؤال تسمعها كل يوم وفي كل مكان.. إجابة يعرفها الكبير والصغير، الرجل والمرأة... إجابة هذا السؤال هي المؤامرة التي تُحاك على أهل هذا الكتاب.. المؤامرة الأنجلو أمريكية الماسونية الصهيونية.. مؤامرة تُدار من كبار اليهود في العالم، والمتحكمين في كل شيء، مثل عائلة روتشليد وروكفلير وجي بي مورجان وغيرهم، من أجل السيطرة على العالم وحُكمه من قِبل الحكومة الخفية، والتي ستظهر للعلن قريبًا، بعد أن تُغرق العالم في الحروب النووية الكبرى، والصراعات الاقتصادية، والتغيرات المناخية، والأوبئة المستعصية، من أجل الوصول بسكان العالم إلى المليار الذهبي، الذي سيُحكم من قِبل حكومة العالم الخفية، والتي ستصبح آنذاك علنية..

انظر حولك، فقد ظهرت كل علامات المؤامرة في كل مكان، واقتربت أحداث نهاية الزمان، والشيطان يضحك، والإنسان يُهان!!... أنت لا تملك أي شيء، فقد سيطرت تلك الحكومة الخفية على كل شيء، ومنذ زمن وهم يسعون لامتلاك كل شيء من خلال عملائهم وأتباعهم على الأرض.. فهم الآن يملكون الاقتصاد والإعلام والأسلحة

والأدوية والإنترنت والرياضة والفنون وحتى الدين!! إنهم يوجهون العالم بأسره كالقطيع بعيدًا عن أوامر الله، ويلقون الناس في أحضان الشهوات والمحرمات... فتلك المؤامرة التي سعت لإخراج القرآن الكريم من قلوب المسلمين، وأبدلته بالشهوات وملذات الحياة الرخيصة.. تلك المؤامرة التي تُكذب كل من يقول الحق، وتنشر الكذب من خلال وسائل الإعلام يوميًّا على مرأى ومسمع من البشر، من أجل إضلالهم وتزييف الحقائق...

لقد بدأوا في نشر الأوبئة والأمراض والمشاكل الاقتصادية والنزاعات بين دول العالم الثالث، والثورات والانقلابات في دولنا العربية... هذا كله من أجل الدمار والقتل وهلاك النسبة الكبرى من البشر، ولا يتبقى سوى المليار الذهبي!

كل هذا الكلام السابق يُلخَّص في جملة واحدة في القرآن الكريم:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]

إذا أردت معرفة الإجابة على سؤالك، فحرر عقلك من كل هذا الكلام الذي ذكرته لك في البداية، فهو من الشيطان كي يجعلك قليل الحيلة، ولا مفر لك، وتشعر أنه ليس بيديك أي شيء أمام هذه المؤامرة الكونية، وهؤلاء الأساطير المسيطرون على كل شيء، وترضى بما أنت فيه، فأنت لا تملك شيئًا، وتتقبل كل شيء تدريجيًّا (خطوات الشيطان)، من منطلق ضعفك وعدم قدرتك على مواجهة تلك القوى الخارقة (مبدأ المستضعفين)..

هناك مقولة شهيرة تقول أن أكبر خدعة نجح فيها الشيطان هي إقناع الناس أنه ليس موجودًا، ولكن ما المشكلة في ذلك؟! وما المكسب العائد على الشيطان من هذا؟؟ المشكلة هنا تكمن في أنك تُحارب في معركة دون أن تعرف من عدوك؟ فماذا سيكون رد فعلك؟! ستطيح في كل من حولك، بل وأكثر من ذلك من الممكن أن تعادي أكثر شخص قريب منك ونصير لك!... تخيل أن عدوك غير ظاهر لك، ولا تعرفه!! ولا تعرف أسلحته وجنوده!! ولا تعرف كيف تواجهه أو كيف ستنتصر عليه!! فالنتيجة تكون توجيه كل إنسان أسلحته في وجه أخيه الإنسان بدون وعي.

فيعتقد الإغريق أن عدوهم الفرس، ويعتقد الفرس أن عدوهم هم الروم، ويعادي الروم بعضهم البعض، ثم يعاديهم الأوربيون، ثم يعادي الأوربيون بعضهم أيضًا، وكذلك العرب (بعد أن أضاعوا سلاح الردع الوحيد لديهم)، ثم يعادي الأوربيون العرب، ثم يعادون اليهود الأوربيين والعرب، ثم ينبثق من أبناء نفس البيئة والعرق والديانة الواحدة طوائف مختلفة يعادي بعضهم بعضًا، ويعادي العرب الأتراك... أنصار الملكية يعادون أنصار الجمهورية، وكذلك الشيعة والسنة، وفي الغرب يعادي الاشتراكيون الرأسماليين، ويعادي الكاثوليك البروتستانت والأرثوذكس، ويعادي البيض السود... ثم ينبثق من أبناء الطائفة والفكر الواحد عداوات أخرى، فيعادي الحزب الجمهوري الحزب الديمقراطي، ويعادي جماهير الفريق الأحمر جماهير الفريق الأبيض، ويعادي أنصار النجم الوسيم أنصار النجم الأوسم، وتستمر العداوات، حتى نصل إلى أن يُعادي الأخ أخاه كي نعود لنقطة البداية!! (اسال نفسك من شجع الأخ على قتل أخيه؟! ووقف بعيدًا يضحك!!)

وسؤالي هنا: من المستفيد من كل هذه العداوات؟؟ من استمر وبقي من كل هذه العداوات؟؟ وإلى أين وصلت البشرية بعد كل هذه العداوات؟؟لا يوجد إنسان واحد مستفيد من كل هذا، فالرابح بالأمس خسر اليوم، والمنتصر اليوم سيخسر غدًا.. فلمَ هذا العداء البشري مستمر؟؟ فالأرض تستطيع أن تستوعب كل البشر دون عناء أو خراب وفساد!! ولكن هذه هي الحرب التي شُنت على البشر من أول يوم لهم في كون الله، وقائد هذه الحرب على البشر هو الشيطان إبليس عدو البشر الأوحد.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا**﴾ [فاطر: ٦]

الشيطان (والذي يعني الشطط، أي الخروج عن الطريق والانحراف)

أو إبليس (والذي يعني الطرد من رحمة الله، أبلس من رحمة الله) أو لوسفير (وهذا الاسم المنتشر مؤخرًا في الروايات المقروءة والمرئية العربية والغربية والذي يعني حامل النور!!).

من هو إبليس الشيطان؟

بعيدًا عن الخوض في تفاصيل غير مؤكدة، فقد كان عزازيل (وهو الاسم الأرجح) أو إبليس، من الجن، ولكنه نشأ مع الملائكة، (ويُقال أن هذا حدث بعد محاربة الملائكة للجن بسبب إفسادهم في الأرض، والله أعلم)، وكان إبليس مع أعبد خلق الله له، مع العلم أنه كان من الجن، أي مخير وليس مأمور مثل الملائكة. حظي إبليس على مكانة كبيرة وحب الملائكة، لأنه كما قلنا كان من أعبد مخلوقات الله له، فارتقى مع الملائكة في ملك الله.

وكان إبليس يجتهد أكثر وأكثر في عبادة الله، كي يحظى بمزيد من العلو والتقرب عنده -سبحانه وتعالى-.

وعندما أخبر الله الملائكة ومعهم عزازيل أنه سيجعل في الأرض آدم خليفة له، وأنه علمه كل شيء، حتى الأشياء التي لا تعلمها الملائكة، وأمرهم بالسجود له ومعهم إبليس، فسجد الملائكة كلهم طوعًا لأمر الله، فالملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، فهم ليسوا مخيرين كالإنس والجن، ولكن هنا من يملك الاختيار هو إبليس، إما أن يسجد أو لا. لو كان قلب إبليس متعلقًا بالله ومليئًا بالإيمان الصادق لسجد لآدم، ولكن عبادة إبليس لله كانت عبادة مشروطة مرهونة بالمكانة المميزة بين خلق الله، ولذلك رفض السجود والطاعة في أمر رأى إبليس أن فيه تقليلًا لمكانته، فإبليس كان يعبد مكانته وليس الله -تعالى-.

(من الجمل الشهيرة التي قد تسمعها على لسان الشيطان هي: لماذا يغفر الله للإنسان رغم كل أخطائه، ولم يغفر لإبليس رغم أنه لم يخطأ سوى خطأ واحد؟؟ والحقيقة أن إبليس لم يخطأ، إبليس رفض وتكبر.. إبليس رهن عبادة الله بشروط، وإن لم توجد هذه الشروط فلا عبادة!!

الخطأ يحدث أثناء تنفيذ أمر ما، فعلى سبيل المثال: إذا كنت في فصل، وطلب منك المدرس حل مسألة حسابية، وبدأت في حل المسألة، ومن الممكن أن تصيب أو تخطئ، وفي حالة الخطأ قد يعاقبك المدرس، ثم يعلمك الطريقة الصحيحة، كي لا تخطئ مجددًا. ولكن ماذا لو قال لك المدرس قم وحل تلك المسألة... وقلت له لا لن أقوم من مكاني!! في هذه الحالة سيطردك المدرس من الفصل، لأنك لا تحترمه ولا تنفذ أوامره، أليس كذلك؟ فأنت في هذه الحالة لا تنظر إليه نظرة المعلم صاحب الفضل عليك..

فهذا ما فعله إبليس.. إبليس لم يخطئ.. إبليس رفض واعترض، ورفضُ إبليس جاء من نفسه التي تكبرت على أوامر الله)

فطرده الله من رحمته ولعنه، لأنه رفض وتكبر على أوامره، وكان يعبده بشروط، وظن أنه الأفضل من غيره.

إبليس كان غبيًّا لأنه لم يرَ المكانة التي كان فيها وقربه من الله ووصوله لمرافقة الملائكة، وفكر في الخلافة في الأرض بعيدًا عن الله والملائكة، وذلك بسبب قلبه الأسود الذي لا يرى ولا يستحق مرافقة الملائكة والقرب من الله -تعالى-، وكان متكبرًا لأنه اعتقد أنه أفضل من آدم من قبل أن يتعامل معه، ونظر إلى الطين والنار، ولم يفهم أن المكانة بالعمل، فها هو من نار، وكان يجاور الملائكة الذين هم من نور!

عندما اصطدم إبليس بواقع الطرد واللعن، لم يكن لدى قلبه الأسود ونفسه المتكبرة شيء سوى الانتقام.

وهنا طلب إبليس من رب العالمين الوقت كي يستطيع أن ينتقم من الإنسان، فهو يعلم أن الإنسان مثله مثل جنسه، له قلب متقلب، وله نفس أمارة بالسوء، ويستطيع مع الزمن أن يفعل به ما لا يستطيع أي شيء آخر فعله، لذلك طلب إبليس من االله -عز وجل- الوقت والمهلة إلي يوم القيامة، كي يستطيع أن يحقق أكبر انتقام وأانتصار على الإنسان، وشهد له االله تعالى على ذلك، على أنه سيحقق انتصارًا على النسبة الأكبر من البشر، إلا القلة التي ستحتمي بالله، وتلجأ له.. وأقر إبليس بذلك أن الفئة القليلة التي ستحتمي وتلجأ لله -عز وجل- لن يستطيع أن يغريها بشيء، فهو لا يستطيع مواجهة عباد وأولياء االله تعالى، ولا معارضة مشيئة الله أبدًا.

وقد أقسم إبليس بعزة الله تعالى.. (انظر إلى معرفة إبليس القوية بقدرة وعظمة وألوهية الله لدرجة أنه وهو مطرود من رحمته ويعادي أمره ويتكبر على خلقه، لا يقسم إلا بالله ،لأنه يعرف أنه لا يوجد أعظم من الله تعالى، في حين أننا اليوم نقسم بغير الله.. سبحان الله!!)

أقسم على أنه سينتقم من البشر.. أقسم على أنه سيبعدهم عن طريق الله كما تسببوا في طرده من نعيم ورحمة الله.. أقسم على أنه سيثبت لله أن هذا المخلوق لن يطيعه وسيعصيه، عكس ما كان يفعل إبليس (ولكن إبليس لم يكن يطيع الله بقلب سليم...) ومن شدة الكره والحقد والكبر المملوء به قلب إبليس، والغباء أيضًا (فالغضب والكره والكبر لا ينتج عنهم إلا الغباء وسوء التصرف) أقر إبليس بكل خططه وأدواته لمحاربة آدم وذريته أمام الله -تعالى-!! وأخبرنا الله -تعالى- بها في القرآن الكريم، كي تكون حجة لنا وعلينا وعلى إبليس. فالله -تعالى- لا يحتاج أن يعلمه أحد بشيء -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هو العليم.

وأوضح إبليس أهم الخطوات التي سيسير عليها في رحلة انتقامه الغبية، وكما ذكرها لنا الله -تعالى- في كتابه، وملخصها الآتي:

الإغواء بكل ما هو محرم... تزيين الأرض والترف.. تغيير خلق الله... عدم شكر الله على نعمه وعدم الرضا.. عداء الحق وأهله.

وكل ذلك من أجل أن يصل بالإنسان في النهاية إلى الكبر والشرك والكفر بالله.

وهنا ننتقل إلى الطرف الآخر الذي قرر إبليس الملعون الانتقام منه وهو آدم.. فبعد أن نفخ الله -تعالى- فيه الروح، وعلمه كيف يحيا وما ينفعه، وأمر الملائكة أن يسجدوا له فسجدوا إلا إبليس (كان من الجن)، وحذر الله آدم من إبليس، وقال له أنه عدو

له ولذريته إلى يوم القيامة، وخلق الله لآدم حواء، كي تكون سكنًا واحتواءً وأمانًا له، وأسكنهم في جنة يتنعمون فيها.. ولم يكن لدى آدم الدراية الكاملة بالكره الكامن داخل قلب إبليس له، ولم يكن يدرك أن إبليس من الممكن أن يفعل أي شيء كي يضله، فهو أصبح مطرودًا من رحمة الله.

سكن آدم وزوجته حواء الجنة التي أسكنهم الله إياها، وتمتعا بكل خيراتها، وحرّم عليهما الله -تعالى- الأكل من شجرة واحدة في هذه الجنة، كي يتعلموا طاعة الله في أوامره ونواهيه (وأعتقد والله أعلم أن وجود هذه الشجرة كان مثالًا على محرمات الدنيا قبل النزول إلى الأرض، وتوضيح أن مصير اتباع المحرمات في الدنيا هو الانحطاط والدنو وغضب الله، فالله كان يُعلم آدم قبل النزول إلى الأرض، لأننا لا نستطيع أن نقول أن أكل آدم للشجرة هو الذي تسبب في نزوله للأرض، ولولا أكله ما نزل للأرض، وذلك لأن الله -تعالى- من البداية قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، وهذا يعني أن مكان آدم الطبيعي من قبل خلقه هو الأرض، وأن أكل آدم للشجرة ما هو إلا مثال توضيحي للفرق بين طاعة الله ومعصيته، وكي يفهم الإنسان أن عدوه الحقيقي هو الشيطان، وأنه هو الحاجز بينه وبين الجنة. للعلم هذه الشجرة لم تكن شجرة تفاح أبدًا)

واستغل إبليس هذه الشجرة التي حرمها الله على آدم وحواء، كي يغويهم من خلالها ويجعلهم يعصون الله -تعالى-، فيحل غضبه عليهم، وبالفعل حاول إبليس إقناعهم أن تلك الشجرة هي شجرة الخلود، وكان آدم يعلم أن جنس البشر ليس خالدًا، بل له أجل كما علمه الله -تعالى-، وهنا يتضح أن الشيطان يدخل دائمًا من ناحية الجزء الناقص لدى الإنسان، الجزء الذي تشتاق نفسه له، فمثلًا يدخل للفقير من ناحية

المال، ويدخل للضعيف من ناحية السلطة، ويدخل للمغمور من ناحية الشهرة، ويدخل للعازب من ناحية الجنس.

وأقسم إبليس لآدم وحواء أنه ناصح أمين لهم، ولم يتخيل آدم أنه من الممكن أن يقسم أحد بالله باطلًا، فلا يزال قلب آدم أبيض طاهرًا لا يعرف المعاصي.

فأكل آدم من الشجرة... وهنا بدأت تظهر نتائج عصيان الله على آدم وحواء، بداية من التعري وإظهار السوأة.. (فالتعري من أهم وأكبر سمات اتباع الشيطان، والبعد عن أوامر الله -تعالى)...

عاتبهم الله على معصيتهم له، وكان عقاب الله لهم إنزالهم من الجنة إلى الأرض، وهنا سمة أخرى من سمات اتباع الشيطان، وهي غضب الله ورفع حمايته عن الإنسان، ودنوه وتقليل شأنه. ولكن بسبب نقاء قلب آدم وحواء، طلبوا المغفرة من الله، فعلمهم الله الاستغفار والعبادة، كي يستعينوا بالله على الشيطان الذي أخبرهم أنه سيكون عدوًا لهم ولذريتهم في هذه الأرض، ومن هنا بدأت رحلة الحرب غير المعلنة عمدًا بين بني آدم والشيطان على الأرض.

خطوات الشيطان

أولًا الإغواء بالمحرمات

«الغاية تبرر الوسيلة» جملة من أشهر الجمل، وهناك من يعمل بها، وهناك المؤيد والمعارض لها، وهناك من يعتبر ميكافيلي من أكثر السياسيين دهاءً بسبب ذكره لهذه المقولة في كتابه الأمير، ولكني أرى أن ميكافيلي ليس له السبق في هذه الجملة، لأن الأصل في هذه الجملة يرجع للشيطان، وكل من يتأمل تاريخ البشر سيخرج بهذه الجملة، ويراها واضحة في أفعال كل البشر، سواء قبل ميكافيلي أو بعده، وذلك لأن هذا هو أسلوب إبليس المنذر إلى يوم القيامة...

ساذج من يعتقد أن الشيطان يقول لك اقتل أو اسرق أو ازنِ أو غش أو اشهد زورًا، لأن من السهل جدًّا أن يرفض أي شخص تلك الأفعال المحرمة، فلن يعرض أي إنسان نفسه للخطر سواء في الدنيا أو الآخرة بدون مقابل، وحتى إذا فعلها وهو يعلم أنها معصية، فسيتوب عنها، وسيغفرها الله له كأن لم تكن.. لذلك يجب أن يحدث تغيير في السيناريو، يجب أن تتغير صورة هذا الجرم في عقل الإنسان... وهنا تأتي اللمسة الفنية لإبليس، الاضطرار من أجل الوصول إلى الأفضل.

من الممكن أن نخطئ وأن نضطر إلى أن نفعل ما لا نحب وما لا يرضي الله، ولكن هذا

من أجل الوصول في النهاية إلى الصورة الأفضل التي ترضي الله والناس.

إبليس لا يقول لك اسرق، ولكن يقول أنه لم يعد لديك أي طريق ولا مفر سوى السرقة، كي تستطيع أن تعيش وتعول أسرتك في تلك الظروف القاسية التي نعيشها، فالسرقة تكون من أجل هدف سامٍ، وهو رعاية الأسرة!

إبليس مُعترف لك أن الفعل الذي تقدم عليه هو خطأ مكروه منك ومنه، لكنه خطأ بسيط من أجل الوصول في النهاية إلى الأفضل، وأنت للأسف مضطر ومجبر من الظروف المحيطة بك، وظلم المجتمع وعجزك هو ما يدفعك لفعل الخطأ، من أجل التخلص من ظلم وشر الآخرين، أو الوصول إلى ما تريد، كي تستقيم الأمور.. وللأسف لا يوجد أي طريق آخر لهذا إلا بفعل ذلك الخطأ البسيط، الذي لا يساوي شيئًا بجوار النجاح والفلاح الذي سيتحقق بعد ذلك.

ومن أجل توضيح ما نقول، سنضرب بعض الأمثلة البسيطة من تاريخ آدم وأبنائه مع إبليس:

من البداية لم يقل إبليس لآدم اعصِ ربك وكُل من الشجرة، بالعكس إبليس قال لآدم أنه يقدم له نصيحة من أجل مصلحته.. إبليس قال لآدم أن يأكل من الشجرة، لأن ذلك سيجعله خالدًا، والخلود يعني التنعم الأبدي في نعيم الله وعبادته الأبدية، وهذه نهاية تُرضي قلب آدم، أما معصية الأكل من الشجرة فستُنسى أمام تلك النهاية السعيدة، فما أجمل الخلود في نعيم الله وطاعته مثل الملائكة المقربين! هل يكره أحد أن يفعل عملًا يقربه من الله!!

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا

رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١)﴾ [الأعراف: ٢٠-٢١]

إبليس لم يقل لقابيل اقتل أخاك كي ترثه، لا.. بل لأنه ينافسك في حب الله، فالله تقبل منه ولم يتقبل منك، فما أجمل أن يتقبل الله منك أنت!! فهابيل هو من يمنعك عن ذلك، ويأخذ مكانك عند الله!! فبالتخلص منه تقترب إلى الله أكثر. فاستجابت نفس قابيل المتكبرة التي يعرفها إبليس جيدًا.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]

إبليس لم يقل لإخوة يوسف اقتلوا يوسف لأنه أجمل منكم، لا.. إبليس قال لهم اقتلوه لأن أباكم النبي يحبه أكثر منكم، فهو يحرمكم من حب أبيكم النبي الصالح، وبقتل يوسف سيصبح أبوكم لكم أنتم فقط، وستصبحون بذلك قومًا صالحين كأبيكم!! فيوسف هو من يحرمكم من علم أبيكم وحبه!! ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٩]

أما أشهر وأكبر وأنجح بطل لسلسلة الغاية تبرر الوسيلة لإبليس هم اليهود.. البطل المفضل لإبليس.. البطل الذي يستطيع إيجاد المبرر لكل شيء، من قتل وتزوير وتحريف في كلام الله وإخفاء الحق والرِّبا والزنا والتلاعب.

نعم المبرر موجود.. فهم الشعب المختار، أبناء الله وأحباؤه، والأحق بنعيمه وجنته من الأميين.. والبطل يعلم أنه قام ببعض الأخطاء البسيطة التي تُقدر أقصى عقوبة لها بالحبس ٤٠ يومًا فقط. **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ**

﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨]

﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦]

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠]

هذا هو المؤلف.. إبليس الذي يغير نهاية القصص، كي تنال إعجاب النفوس الأمارة بالسوء، ولكن دعنا نرى النهايات الحقيقية لرواياته المحرفة.

كما قلت لك أن الشيطان يُزين لك نهاية الطريق كي تُكمله، ولكن الحقيقة أن نهاية الطريق تكون مؤلمة وحزينة عاجلًا أو آجلًا، فآدم أخطأ عندما تصور أن معصية الله قد تؤدي إلى عبادته والتنعم في نعيمه، وأخطأ أيضًا عندما تصور أن الله يمنع عنه خيرًا، ويستطيع أحد غير الله أن يدله على هذا الخير، فماذا حدث في نهاية القصة، هل حقًّا ارتقى آدم لحياة الملائكة والخلود؟! للأسف لا، بل هبط إلى الأرض، وفقد النعيم الذي كان بين يديه، وكُشف عنه ستره هو وزجته.. وإبليس يضحك من بعيد! ثم تعلم آدم من خطئه، واستغفر الله، وسأله التوبة، فتوقف إبليس عن الضحك، وقرر توجيه نظره نحو أبنائه.

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَ أَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) ﴾ [الأعراف: ٢٣-٢٤]

أما قابيل فلم ينظر لعيوبه وبخله وأنانيته، ونظر لغيره، واستهوى نفسه كلام إبليس، أن المشكلة هي أن غيره سرق مكانته عند الله، مع العلم أن المشكلة كانت في نفس قابيل، وحلها أن يتقي الله في كل ما يفعل وكل ما يقدم إلى الله، ويكسر كبر نفسه، ولكنه بقتله لأخيه سن سنة جديدة في الأرض وهي القتل.. وانظر إلى النهاية.. هل بقتل هابيل تقرَّب قابيل إلى الله، ورضي الله عنه، وتقبل منه؟! بالعكس تمامًا.. لعنه الله في الدنيا والآخرة، ولعنه أبواه، وتحمل وزر كل قاتل على الأرض إلى يوم القيامة... وإبليس يضحك من بعيد!

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]

وإخوة يوسف.. هل خلا لهم وجه أبيهم بعد ما فعلوه في يوسف؟! بالعكس، لم يُعد لأبيهم فعل يفعله إلا ذكر الله ودعاءه أن يجمعه بيوسف.. أما يوسف فقد أعلاه الله عليهم، ولم ينالوا رضا أبيهم إلا بعد أن سامحهم يوسف ودعا الله أن يسامحهم، وهنا توقف إبليس عن الضحك، لأن إخوة يوسف أدركوا الخدعة واعترفوا بذنبهم.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١]

﴿قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧]

أما عن البطل المفضل.. نجم الشباك.. حملة التوراة.. الذين لم يحملوها، واعتقدوا أن باخفائهم لتعاليم الله، ومحاولة قتل المسيح -عليه السلام-، وتحريف تعاليمه، ومحاولة قتل الرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والتفريق بين أتباعه، ونشر كل

أنواع الفساد بينهم، أنهم بذلك في طريقهم إلى الوصول مع الملك المنَتظر إلى جنة الأرض، التي تليق بأبناء الله وأحبائه وشعبه المختار، دون أي شركاء أمَيّين. ولكن الحقيقة كما ذكرها الله -تعالى- في القرآن أنه غضب عليهم، ولعنهم على لسان سيدنا داوود وسيدنا عيسى -عليهما السلام-، وأقر الله أنهم سيعلون في الأرض، ويفسدنا فيها، ثم يدمر عباد الله على رؤوسهم كل شيء.. فما هم إلا كالحمار يحمل أسفارًا.. فمن أحمق وأغبى ممَّن رأى البحر ينقسم ثم يُغلق على أعداء الله، ورأى الطعام ينزل من السماء، ورأى الحجارة ينشق منها الماء، ورأى التابوت يأتي في الهواء تحمله الملائكة، ورأى داوود يقتل جالوت، وسمع الجبال تُسبح، ورأى الشياطين مُسَخرة، والريح تجري بأمر الله حيث أراد سليمان، ورأى عيسى يحيي الموتى، ويشفي المريض بإذن ربه، ورأى الشاة تُكلم سيدنا محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، كي لا يأكلها وهي مذبوحة، وبداخلها السم ثم يعتقد أنه يستطيع تغيير إرادة الله والاعتراض عليه!!

انظر إليهم.. هم دائمًا مكروهون من كل من يأمر بالقسط من الناس.. لماذا يعلو صوت الأذان والقرآن وسنة حبيب الرحمن -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في كل مكان، بينما هم بكل سلطتهم المزعومة يختبئن في جماعات سرية، أو كتب مخفية، ومؤامرات غير مرئية!! لأنهم في رعب دائم وخوف، وكتب عليهم الله الذل والخزي والمسكنة إلى يوم القيامة... ومع قولهم أنهم الشعب المختار وأحباء الله، فإنهم يخافون الموت ومقابلة الله، لأنهم يعرفون الخدعة، وكيف لا! فهم سفهاء وشياطين الإنس.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ

بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧)﴾ [الجمعة: ٦-٧]

كل بني آدم خطَّاء، أي كثير الخطأ، لا يوجد إنسان لا يخطئ، لذلك فتح الله لنا باب التوبة كي نعود للطريق الصحيح بإذنه بعد كل خطأ، وإبليس يعلم هذا جيدًا، لذلك هو لا يريد منك مجرد فعل خطأ تتوب عنه.. لا، هو يريد تحويل الخطأ في قلبك إلى صواب ووسيلة، ثم جعله عادة في المجتمع..

إبليس يريدك أن تفعل كما فعل هو، أن تُجادل الله في أوامره ونواهيه، وأن تعتقد أن هناك شيئًا حرمه الله قد يكون فيه خير لك ولمجتمعك.. إبليس يريد أن يجعل من الخطأ شركًا وأسلوب حياة **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦] ..**

أن تخطئ وأنت تعلم أن هذا خطأ يضرك.. هذا يجعلك تستغفر الله وتتوب عن هذا الخطأ، حتى ولو عدت له مرة ثانية، ما دمت تعلم أن هذا خطأ ويقودك إلى الهلاك ستتوب عنه كل مرة، وتنوي عدم العودة له، وأهم من ذلك لن تفصح عنه لأحد. ولكن الكارثة أن تُحلل ما حرمه الله معتقدًا أن فيه خيرًا لك ولغيرك، وتقلل من قدرة الله وحكمته وثقتك به.

إبليس يسعى دائمًا لجعل الحرام أسلوب حياة بين البشر، وليس فقط ارتكاب ذنب، ثم التوبة.. إبليس يريد منك أن تعارض الله في نواهيه، وأن ترى أن طريق النجاة

والنجاح في معصية الله، وألا ترى عيوبك، وأن يكون الخطأ دائمًا ممن حولك وفي القيود المحيطة بك.. فتقدم على الحرام وأنت مطمئن داخليًّا ومرتاح الضمير، فليس أمامك طريق غيره للنجاح، فالذي كان حرامًا بالأمس يصبح عاديًّا جدًّا وطبيعيًّا اليوم، وأقل من العادي غدًا، فلا تبحث عن باب التوبة، فأنت لا تفعل الخطأ فتثقل عليك ذنوبك التي لا تتوب عنها وتنسى الله، فيلعنك الله، فتلقى في النار، وهذا ما حدث مع بني إسرائيل..

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]

لذلك وُصف الرسول الكريم محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه ناصر الحق بالحق، فلا يوجد باطل يؤدي إلى حق، بل الباطل يؤدي إلى مزيد من الباطل، يعمي عيون الناس عن الحق، وهذا ما يريده إبليس..

فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ(٣٢) سورة يونس

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]

ولذلك تجد اليوم بين البشر فلسفة ووعود إبليس، فمن يُظلم يظلم من أجل الحفاظ على موازين العالم، ومن يقتل يقتل من أجل أن يعيش، ومن يعذب يعذب من أجل تصحيح الأوضاع، ومن يسرق يسرق من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية

وإعطاء كل ذي حق حقه، ومن يتعرى يتعرى من أجل الارتقاء بالذوق والفن، ومن يلهو يلهو من أجل البطولات والمجد ورفع اسم الأوطان. وإبليس دائمًا جاهز بالمبررات الدرامية!

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣]

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]

فالشيطان يغوي بالمحرمات من أجل جعلها مباحة وحقًّا مكتسبًا لا يجوز المساس به، فهو يسعى لترك العنان لهوى النفس.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]

الترف والتزيين في الأرض

قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩]

لماذا يزين لنا الشيطان حياتنا على الأرض؟

بكل بساطة لأن الزينة تجذب الأعين، والشيطان يريد أن يجذب عينك وقلبك إلى الحياة الدنيوية على الأرض، بعيدًا عن السماء وأهل السماء، كما بعد هو عنها.

تخيل معي أنك تجلس وسط أصدقائك، تأكلون وتلعبون وتضحكون، وجاء والدك وقال لك "تعالَ معي مشوار"، رغم أنه والدك، وأنت تعلم جيدًا أنه يحبك ويريد لك الخير والصالح أكثر من أصدقائك، ولكن متعة الجلوس مع الأصدقاء، وعدم الإدراك الجيد لمصلحتك، وعدم معرفتك طبيعة المشوار، وإغواء أصدقائك لك بمزيد من المتعة، فستفضل الجلوس مع الأصدقاء، مع العلم أنه شئت أم أبيت سيأتي وقت وتنتهي الخروجة واللعب والكلام والضحك، وأيضًا من الممكن أن تحدث مشكلة تعكر الصفو بينكم، ولكنك تفضل المتعة اللحظية الملموسة، رغم أنك تعلم جيدًا أنها ستنتهي حتمًا!

وهذا ما يحدث معنا في الحياة.. كل متع الدنيا مع اختلاف أشكالها وألوانها، ما هي إلا متع ولهو، سيأتي وقت وسيمل الإنسان منها وتنتهي، ولذلك هناك شياطين الإنس والجن، جنود إبليس الذين يزينون لك هذا اللهو وهذه المتع دائمًا، ويعرضون لك كل ما هو جديد، كي يعموا عينيك عن حقيقتها الزائلة...

فالتزيين يُعمي العين عن جوهر وحقيقة الأمور.

ولذلك فالتزيين اليوم يدخل في كل نواحي الحياة، حتى في علاقة الإنسان بربه.

انظر حولك كي ترى مظاهر الترف والتزيين في السينما والتليفزيون والراديو والكمبيوتر والإنترنت والموبايل، ولا تنسَ السيارات التي تزداد سرعة، وكماليات ورفاهيات، والطائرات الخاصة، والسفن التي أصبحت قصورًا عائمة، أما عن القصور الثابتة فحدث ولا حرج، من قصور شاسعة المساحة، وناطحات سحاب تحتوي على شقق فاخرة بها أجهزة مختلفة الأشكال والوظائف، كفيلة ألا تجعلك تُحرك عضلة واحدة من جسدك، ولا تحتاج لإعمال عقلك، فأنت تستطيع أن تمتلك الروبوت ذا الذكاء الاصطناعي المتطور!!

أريد أن أسالك سؤالًا قبل أن ترد مدافعًا عن كل هذه الرفاهية والمزايا ، هل حدث أي تغيير إيجابي في العالم بعد كل هذه الرفاهيات؟! على مستوى الصحة.. هل أصبحت الأمراض أقل وتحت السيطرة؟ أم يظهر كل فترة أمراض أجدد وأخطر وعدد وفياتها أكثر؟!

هل على مستوى الأخلاق أصبحت الأخلاق الحميدة هي السائدة، والعادات السليمة هي المتبعة؟! أم أصبحت الأخلاق أكثر انحدارًا، وانتشرت العادات السيئة بكل صورها؟! هل تقديس الناس لخالقهم يكبر في القلوب كل يوم أكثر من قبله أم يتلاشى؟ هل الجريمة تقل وتنحسر، أم تزيد وأصبحت في كل مكان حتى داخل الأسرة الواحدة؟! هل العلم في عقول الناس يزداد أم يتلاشى حتى أصبحوا كالأنعام يمشون فقط وراء غرائزهم والخوف على حياتهم؟! هل حال الأسرة أصبح أكثر استقرارًا، وتربية الأطفال هي الشغل الشاغل للآباء والأمهات؟؟ أم زادت الصراعات الأسرية والانفصال وقلَّ الوقت الذي يعطيه الآباء لأبنائهم!.. هل أصبحت الأطعمة والأغذية

أكثر أمانًا وفائدة، أم أصبحت سمومًا في صورة طعام؟! وماذا عن المساحات الخضراء والزروع والحيوانات بكل فصائلها؟! وهل مع ناطحات السحاب والكمبوندات أصبح لدى كل الناس بيوت وأسقف ومأوى، أم يزداد عدد الناس الذين بلا مأوى ومسكن؟! وماذا عن معدل السعادة بين الناس؟! وماذا عن وعن وعن... أعطِني أنت شيئًا واحدًا أصبح أفضل مع زيادة الرفاهية!

لماذا مع كل هذه الرفاهية والتزيين يصبح حال البشر أسوأ، وليس هذا وحسب، بل يقودهم هذا النعيم الزائد الزائل إلى هلاكهم كما حدث مع قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الأيكة وقوم لوط وآل فرعون.. فهم أيضًا أقوام كانوا ذوي حياة مُزينة ومُرفهة.

لماذا التزيين والترف اليوم يفعل بنا كما فعل بالأمس بهذه الأقوام؟!.. لماذا يدفعنا دائمًا لمزيد من القسوة والظلم والكبر والفساد بكل أنواعه؟!

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)﴾ [سبأ: ٣٥-٣٦]

كي نجيب على هذا الاستفسار يجب أن نخوض رحلة التزيين من البداية...

عندما يُحاط الإنسان بالمتع والزينة الدنيوية يبدأ عقله بالتحول تجاهها والتعلق بها، ويكون هدفه دائمًا إشباع نفسه بهذه المتع، ويزداد شغفه للمزيد، وتكون هي شغله الشاغل، وينسى السماء وأهل السماء، وثواب الله وعقابه، ويرفض أن يُوضع له قوانين تمنعه من تلك المتع والزينة والترف واللهو...

فمع سيطرة الرفاهية والزينة على عقل المجتمع تظهر أعراض خطيرة، منها:

- عدم الرضا، والتطلع المستمر لما في يد الغير.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]

- صعوبة الزواج والحياة الزوجية.

قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

وهذا ما يفعله الترف في المجتمع، يفتتن به الناس وينشر به الفساد.

-توسيع الفارق بين الطبقات وزرع الحقد والعداء والكره بينهم.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)﴾ [البقرة: ٢٧٢-٢٧٣]

-ضياع العلم وقيمة العقل البشري.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]

-انتشار الظلم والطغيان والفساد.

﴿أَلَمْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢)﴾ [الفجر: ٦-١٢]

ويصبح الإنسان أسيرًا للمتع التي تُحاط به منذ نعومة أظفاره، فيصبح شغله الشاغل المادة من أجل الوصول إلى مزيد من المتع والرفاهية، فلا يهم إذا كان عمله نافعًا للناس والمجتمع أم لا، ولا يهمه من حوله وما يهم، فيصبح هذا الشخص قمة في الأنانية والقسوة، فلا مكان في قلبه إلا للمادة.

وعندما يتوفر للإنسان المزيد من المادة والزينة، يبدأ يشعر بذاته، وأنه يمتلك كل شيء، وأنه لا يوجد من هو أفضل منه، وهنا يظهر الكبر جليًّا في قلبه، فلا يتخيل أن هناك من يملك ما هو أفضل مما لديه، ولا يتوقع أن يعاني من شيء في وسط تلك الزينة، فهو المُنعَّم بها، وهو الأفضل.

وهذا ما اعتقده قوم نوح وعاد وثمود ولوط وشعيب وآل فرعون، أنهم يملكون كل متع الدنيا، ولا يوجد من يملك أفضل مما يملكون ولديه القدرة على مكافئتهم أو عقابهم، فالمتع والنعيم والزينة من حولهم أوصلتهم إلى الكبر الذي جعلهم يتكبرون على الخالق الذي خلقهم، وخلق كل شيء، وإليه سيرجعون..

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢)﴾ [الزخرف: ٥١-٥٢]

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]

وهذا ما جعل سادة قريش لا يؤمنون بالله ويحاربون رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فكيف برجل أقل منهم مالًا وجاهًا أن يقودهم وهم وسادة قريش، وهذا ما فعله كسرى ملك الفرس أيضًا مع رسول رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فكيف لعبد من قبائل الصحراء أن يأمره ويحذره، وهو ملك في أعظم وأفخم قصور الأرض.

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٣]

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨)﴾ [يونس: ٧-٨]

والتزيين كما قلنا يكون أيضًا في طريق الحق لإعماء القلب عن جوهر الحق، فتزيين المصاحف والمساجد ليس إلا لخطف بصرك وبصيرتك عن مضمون كتاب الله وروحانية بيته، فإن كان هذا التزيين فيه تقدير لكتاب الله وبيوته، لكان أولى على رسوله الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصحابته الكرام فعله!

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨]

وهذا ما فعلته الزينة في دولة الإسلام عندما دخلتها بعدما انتهت الخلافة الراشدة وانعزل الحكام عن الناس بالحرس وأسوار القصور العالية المليئة بالخدم والنعم، ملأت الأنانية والكبر قلوبهم، فأصبحت معاركهم لتوسيع ملكهم، وليس لإعلاء كلمة الحق، إلا من رحم ربي واختار نعيم جنته. فكانت النهاية المساوية لكل من يلهث وراء زينة ونعيم وملك الدنيا الزائف، فكان نحر الأمويين على يد العباسيين، ونحر العباسيين على يد التتار، ونحر الملوك الطوائف على يد الإسبان (بعد أن انقسموا من دولة واحدة إلى ٢٢ دويلة.. رقم مميز!!)وكذلك نُحر العثمانيون على يد الإنجليز.. فهكذا تبيع الدنيا من يصاحبها.

انظر حولك واحكم بعقلك، ما العلاقة بين الترف والزينة من جهة، والعلم والأخلاق من جهة أخرى!! الإعمار في الأرض الذي أمرنا به الله -تعالى- لا يكون إلا على أساس العلم الصحيح الذي ينفع الناس، والأخلاق الحميدة.. غير ذلك فهو تزييف وتجميل لواقع مؤلم فاسد، وسحر لأعين الناس.

وجودنا في الدنيا مؤقت، وهذا ليس كلامًا دينيًّا أو روحانيًّا، بل هذه حقيقة تُرى في كل لحظة في حياتنا.. فلماذا تخسر الكثير مقابل القليل؟ هذا ما يفعله بنا إبليس.. يريد أن نعتقد أن الدنيا هي كل شيء، مع العلم أن الحقيقة العلمية الملموسة تقول أن البقاء في الدنيا مؤقت، فيجب أن يكون بقاء خير لك ولمن حولك، والهدف من الدنيا هو فعل ما نستحق به جنة الخلد، والبعد عن فعل ما يُلقينا في الجحيم الخالد.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]

لا تجعل هدفك الأول والأوحد هو المادة، وأنت لا تعلم إذا توفرت لديك وبكثرة ماذا سيحدث لقلبك، فمع فراغ العقل وانعدام الأهداف ستأخذك المادة إلى ما تريد هي، وستصبح أسيرًا لها.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]

هل تعتقد أن كل من يكتب كتابًا أو يصور فيديو على اليوتيوب عن الماسونية والمنظمات السرية واليهودية والصهيونية والظلام الذي يحيط بالعالم هو فقط من يعرفهم ويعرف مخططاتهم... لا.. الكل يعرف ويفهم ويرى، ولكن المادة والترف يقيدان الحركة.

فالتزيين كما هو وسيلة يستخدمها إبليس لإلهاء البشر عن طريق السماء، كذلك يستخدمها شياطين الإنس لإعماء عيون البشر عن الظلم والفساد، كما فعل فرعون ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣)﴾ [الزخرف: ٥٣]

﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣)﴾ [الزخرف: ٥٣]

فالخروج من سباق المادة والترف هو أول خطوة يجب أن نساعد بعضنا عليها... وهذا ما حدث سابقًا وجعلنا نرفع رؤوسنا بفخر في عام ٧٣، عندما ألقينا بزينة الدنيا في أقرب سلة قمامة، وكان هدفنا الوحيد هو الانتصار على الباطل وإعلاء كلمة الحق،

تحت شعار «الله أكبر» وإرجاع الأرض والكرامة، والانتقام لدمائنا، حتى لو كان الثمن الرجوع إلى رعي الأغنام والخيم (رحم الله خادم الحرمين وسيد العرب الملك فيصل).. انظر ماذا حققنا وقتها، وكيف احترمك وخاف منك القريب قبل البعيد، والعدو ومن يُدعى بالصديق، وانظر إلى حالنا الآن مع القصور وناطحات السحاب!! قال تعالى: **﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨)﴾ [آل عمران: ١٥٨]**

هل تعلم أن تلك الآيات كانت تُتلى فجر يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيم (٢٦٨) سورة البقرة

تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين(٨٣) سورة القصص

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)﴾ الزخرف

وطبعا لا نستطيع أن ننسى شياطين الإنس.. اليهود هم أكثر أنواع البشر تقديرًا للمادة والمال وزينة الدنيا، بداية بالله -عز وجل-، تعالى الله عما يشركون، فهم أرادوا أن يعبدوا إلهًا ماديًّا محسوسًا، لدرجة أنهم اشترطوا على سيدنا موسى، رؤية الله جهرًا، كي يؤمنوا به، وطبعًا اتخذوا العجل الذهبي إلهًا من دون الله، فما أعظم الذهب! مرورًا بأنبيائهم الذين كانوا يقيمونهم على حسب المادة والسلطان، لذلك

تجد أن نبيهم المفضل داود لما كان له من ملك وسلطة، ثم تعاملهم مع باقي البشر بالربا وأكل أموال الآخرين، فهم أول من أنشأ الصرافات والبنوك والديون طويلة الأجل، والفوائد والبنك الاحتياطي الفيدرالي، والبنك الدولي، وصندوق النقد... عينهم لا ترى سوى المادة، لذلك كما قال عنهم الله هم أصحاب القلوب القاسية (فالترف يميت القلوب)، ولا يأتون بنفع أبدًا للناس، بل يحاولون دائمًا إيقاد نيران الحروب كي تعود عليهم بالربح والمال والمادة، (انظر إلى مصير الدول المشاركة في الحروب العالمية الأولى والثانية، وما عليها من ديون طائلة إلى اليوم، وعلى رأسهم أمريكا) وليس فقط الحروب، بل كل أنواع الكوارث التي تعود على الناس بالأضرار المادية، (كدور بنك جي بي مروجان بعد أزمة كورونا)، فهم من يصنعون الزينة، ويبيعونها للناس كإله العصر الحديث.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨]

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١]

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦]

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١]

ليس مطلوبًا منك أن تكون فقيرًا، بالعكس فالمادة والمال وسيلة مهمة، وليستا غاية.. واعلم أن الفقر والغنى ليسا بيدك، فرزقك كُتب لك مع لحظة ولادتك، أنت فقط تختار الطريقة التي يأتي لك بها هذا الرزق، وفيما تنفقه، فالمطلوب منك أن تستغل ما تملك فيما ينفعك في الدنيا والآخرة، وينفع الآخرين، ويجعل ذكراك الطيبة دائمًا بين الناس.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)﴾ [العصر: ١-٣]

وهذا ما علمنا إياه الرسول الكريم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصحابته الكرام، فالرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم يكن فقيرًا قط، ولكنه كان ينفق ماله فيما يفيد وينفع به دينه والناس، وما يبقى له عند الله في الدار الآخرة، فالزهد لا يكون إلا مع المقدرة، والقدرة المالية وترك المتع مع القدرة على الحصول عليها، وكذلك كان سيدنا عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، كانا من كبار التجار وأغناهم، ولكنهم لم يسكنوا القصور، ولم تشهد حياتهم المتع والرفاهية التي تليق بهما كأثرياء القوم، وكان كل ما يشغلهم هو النجاح في العمل والتجارة، كي يستطيعوا أن يستخدموا هذا المال فيما يفيد دينهم والناس، كما فعل سيدنا عثمان بشراء بئر الماء من اليهودي بالمدينة

المنورة، وفي تجهيز جيش العسرة..

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]

قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس».

«من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

ولن أجد أقوى من بصيرة فاروق الأمة التي رأت سارية والجبل على بعد مئات الكيلومترات، تلك البصيرة التي رأت وحذرت مما نحن فيه الآن من الجري وراء متع الشيطان.

عند استلام مفاتيح بيت المقدس رفض البطريرك تسليم مفاتيح بيت المقدس لقادة جيش أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهم عمرو بن العاص، وعبيدة بن الجراح، وطلب أن يأتي خليفة المسلمين بنفسه ليستلم مفاتيح بيت المقدس، وذهب الفاروق عمر راكبًا على الدابة تارة، وغلامه تارة أخرى، وتستريح الدابة في التارة الثالثة، وعلى مشارف القدس قابلتهم أرض مبتلة، وكان وقت الغلام على الدابة، فخاض الفاروق الطين بقدميه، وكان لا يرتدي سوى جلباب مرقع ١٧ رقعة، فقال له أبو عبيدة بن الجراح أتخوض الطين بقدميك يا أمير المؤمنين! وتلبس هذه الرقعة، وهؤلاء القوم قياصرة وملوك، ويحبون المظاهر، وأنت أمير المؤمنين! فهلا غيرت ثيابك، وغسلت قدميك!

لم يلقِ الفاروق بالًا لهذا الكلام، بل رد بشيء من الحدة، وقال: «لقد كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام، فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله.. والله لو قالها غيرك يا أبا عبيدة لعلوت رأسه بهذه الدرة».

وعندما ذهب الفاروق لاستلام المفاتيح، وكان يتناوب هو وغلامه على الدابة، تمنى قادة جيش المسلمين أن يأتي دور الفاروق على الدابة أثناء الدخول، ولكن حدث العكس، وكان دور الغلام على الدابة لحظة الوصول، وحينها نظر إلى الفاروق وقال له: «أنت الذي قرأنا أوصافه في كتبنا، يدخل ماشيًا وغلامه راكبًا، وثوبه به ١٧ رقعة».

وبعد أن تسلم الفاروق مفاتيح بيت المقدس، قضى ليلته باكيًا بكاءً شديدًا، وعندما سئل عن سبب بكائه قال: «أخشى أن تُفتح عليكم الدنيا، فينكر بعضكم بعضًا، وعندها ينكركم أهل السماء».

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦]

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)﴾ [آل عمران: ١٤-١٥]

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]

ألا تعلم أن ساحر النساء «ألن ديلون» يطلب اليوم التخلص من الحياة بالموت الرحيم! فأين المال والنساء والشهرة؟! حتى قبل مفارقة الحياة تصبح كل زينتها ومتعها بلا قيمة!

الدنيا ليست إلا كالنهر الذي ابتلى الله به بني إسرائيل وهم تحت قيادة طالوت، وأمرهم طالوت بأمر من الله ألا يشربوا منه إلا غرفة صغيرة من يدهم إذا اضطروا، وهناك من سمع أوامر الله، وهناك من عصى، فأما من عصى خسر المعركة من قبل بدايتها، وأما من سمع أوامر الله انتصر وفتح الله على يديه بيت المقدس. ﴿**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ **[البقرة: ٢٤٩]**

وما أشبه الليلة بالبارحة، فهذا النهر كالدنيا إن أخذت منها ما يزيد عن حاجتك، وملأت قلبك وبطنك وحواسك بزينتها، فلن تقدر على شيء، وستخسر كل شيء عاجلًا أو آجلًا، وهذا ما يريده إبليس. وإن لم تأخذ منها إلا حاجتك، فلن يقدر عليك أو يتحكم بك أحد.

ولكن الشيطان يجعلك تغرق في نهر المتع والرفاهيات، تتمدد على أريكتك وبجوارك مشروبك وطعامك المفضل، وفي جو مكيف على درجة الحرارة التي تريدها، وتشاهد فيلمك المفضل، أو مباراة فريقك المفضل، وتتابع السوشيال ميديا اللذيذة على هاتفك، وكل شيء حولك تحركه وتغيره بضغطة زر، لا تقوم من مكانك إلا مضطرًا إلى الحمام، وأيضًا في هذه الرحلة الشاقة لا يفارقك رفيق الدرب، هاتفك المحمول، الذي قد يجعلك تنسى نفسك حتى في الحمام!! هل تعتقد أن هذا المسخ يستطيع أن يشعر بأحد من أفراد أسرته أو معاناة أحد من إخوانه في الإنسانية، أو يدافع عن حق، أو يحارب باطلًا!!

لقد حوله الشيطان إلى دابة في قفص يُدخل له الزينة التي تُشبع نفسه وهواه، كي يهدأ ويرتاح ولا يفعل شيئًا، ولا يفكر في شيء.

إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُوَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ(١٢) سورة محمد

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]

وقال أيضًا الفاروق عن متع الدنيا:

«أغمض عن الدنيا عينيك، وولِّ عنها قلبك، وإياك أن تُهلكك كما أهلكت من قبلك، فقد رأيت مصارعها، وعاينت سوء آثارها على أهلها، وكيف عرت من كست، وجاع من أطعمت، ومات من أحيت».

وقال الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة، وصدقه الرسول الكريم -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل».

في النهاية لا أستطيع إلا أن أقف احترامًا وتقديرًا وخجلًا أمام امرأة أعطت أعظم درس في مواجهة تزيين شيطان الإنس والجن للباطل، وعلمتنا أن الإعمار لا يكون إلا باتباع الحق وعلم الله، وما دون ذلك فهو لا شيء، سراب، وأن ما عند الله -تعالى- هو أفضل وخير وأعظم من كل زينة وترف ونعيم الدنيا. سيدتي وسيدة الجميع، السيدة المسلمة المصرية السيدة آسيا.

قال تعالى: **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم: ١١]**

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)﴾ [هود: ١٥-١٦]

وهذا ملخص ما يريده الشيطان من التزيين لنا في الأرض، أن يجعل قلوبنا وآمالنا وأهدافنا مرتبطة فقط بالدنيا وما فيها، فلا يبقى مكان في قلوبنا لله وجنته، فنُطرد من رحمة الله ونعيمه كما طُرد هو!!

﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣]

تغيير خلق الله

تلك النقطة وللأسف استطاع أن يحقق إبليس فيها نجاحًا ساحقًا في كل جوانب الأرض.. فقد أعد لها إعدادًا قويًّا منذ زمن بعيد، ويستخدم لها حججًا علمية عميقة على أناس أصبح أكثرهم جاهلين فاقدين الثقة في أنفسهم وخالقهم، ويقدمها لهم منذ نعومة أظافرهم، ومن خلال حواسهم المختلفة.

بالرجوع إلى الوراء نعرف أن الإنسان هو من تسبب في طرد الملعون إبليس من الدرجة التي رفعه الله لها، ولعنه للأبد، فأقسم إبليس بالانتقام من آدم وذريته.

فإبليس يكره ويحتقر اثنين: الأرض التي خُلق منها الإنسان، ومقر خلافته.. والإنسان الذي خُلق من الطين، ليكون خليفة الله في الأرض، التي نفي الله -تعالى- إبليس لها مطرودًا من رحمة الله ونعيمه، وهذا زاد من كره إبليس واحتقاره للأرض منفاه.

وهذا هو هدف إبليس من تغيير خلق الله، وهو التقليل من شأن الإنسان وإهانته، والتقليل من الأرض مركز خلافة الإنسان، وتحقيرها أمام النار، وجعل الإنسان ينسى ويُنكر ويُكذب التكريم الذي كرمه الله له، وأنه سخر الكون له، فهو خليفته على هذه الأرض.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ(٢٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ(٢١)﴾ [لقمان: ٢٠-٢١]

وهذا دليل على سواد قلب إبليس وكفره المستتر من قبل خلق الإنسان، فلا يجوز لمخلوق مؤمن وموحد بالله أن يحتقر ويقلل من خلق الله.. فهذا خلق الله!! أرنا أنت أيها المخلوق اللعين ماذا خلقت!!

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠) هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١١)﴾ [لقمان: ١٠-١١]

نبدأ بتزييف نشأة وخلق الإنسان:

تحدثنا في استفسارنا الأول أنا وأنت عن تلك النقطة، وعن أصل الإنسان التطوري المزيف الذي يرفضه العلم والعقل، ولكني هنا أود أن أحدثك عن دور إبليس ترسيخ تلك الأفكار والهلاوس التطورية الفاشلة.

فعندما نتحدث مع أي شخص عن التطور والأدلة العلمية الكثيرة التي ترفضه تمامًا سيترك كل شيء ويحدثك عن الحفريات المكتشفة، لأنه لا يريد إلا شيئًا واحدًا، ترسيخ فكرة أنه لا حساب على ما يفعل، وأن كل شيء حدث ويحدث بشكل عبثي، وسيقول لك: اذهب إلى المتاحف، وشاهد حفريات أسلافنا، مثل حفريات الهومو هابليس... اسمع كلامه واذهب إلى المتحف كي ترجع بردود غاية في القوة عليه، ومن هذه الردود على سبيل المثال أن كل حفريات الهوموهابليس الموجودة في المتاحف ما هي إلا مكتات من الحفريات الحقيقية، ولا يستطيع أحد رؤية الحفريات الحقيقية إلا إذا كان يتبع فريقًا بحثيًّا على أعلى مستوى مصرح له دراسة الحفريات الحقيقية،

فهل تعلم لماذا؟؟ لأن حفريات الهومو هابليس المكتشفة في العالم كله لا تملأ حقيبة سيارة صغيرة.. تخيل! من الأساس لم يتم اكتشاف هيكل كامل للهومو هابليس، وكل ما تم اكتشافه هو جمجمة وبعض العظام المتفرقة، (ينتشر على الإنترنت صورة لهيكل، يُقال أنه هيكل لأسلافنا، وهذه ليست حقيقة، فهذا هيكل لأحد أنواع القرود المنقرضة، ويُدعى هيسروبشكي-هارلود كوكي)، ورغم أنه لم يتم إلا اكتشاف تلك الأجزاء الصغيرة لكائن من المفترض أنه كان سلفًا لأرقى الكائنات على الأرض وسيدها، والذي جاء من نسله كل هؤلاء البشر، إلا أنهم استطاعوا من تلك الأجزاء الصغيرة جدًّا أن يصنعوا التصميم والصور لسلفنا الهومو هابليس، وانتشرت لهم الصور في كل مكان، وفي الكتب أيضًا والأفلام!!

وهذا ما حدث أيضًا مع سلف آخر، وهو ما سُمي بإنسان نيبرسكا، عندما تم اكتشاف ضرس مجهول الهوية! قالوا هذا الضرس لأحد أسلافنا أيضًا يُدعى إنسان نيبرسكا... المضحك أنه تم الاعتراف بعد ذلك بأن ذلك الضرس يرجع لخنزير بري، ولا يوجد شيء اسمه إنسان نيبرسكا، ولكن أيضًا من خلال الضرس تم رسم لوحات في المتاحف والكتب والأفلام لإنسان نيبرسكا، فمن سيرى الاعتراف بعد كل هذه الصور الملونة أمامه؟؟

وكذلك إنسان النياندرتال الذي تم إثبات أنه عرق من الأعراق البشرية مثلنا تمامًا، وأبحاث العالم إسفانتي بابو الجينية التي حصل بها على جائزة نوبل عام ٢٠٢٢ أكدت من خلال القراءة الجينية للنياندرتال أنها متوافقة مع القراءة الجينية لنا كبشر، وأنه جنس بشري عادي جدًّا لا ينقص عنا في شيء، وكذلك الأبحاث الحفرية عام١٩٤٨ كانت تؤكد نفس الكلام، وهذا ما نُشر أيضًا في الجارديان.

ولم يحدث قط أن وُلد أو تكوَّن جنين بذيل قط، ولم يُرَ أو يُثبت هذا قط، وممكن أن تقرأ هذا في مقال

(The human tail: benign stigma)

في journal of neurosurgery 63:461-462(1985)

ولا يوجد أي دليل علمي واحد مثبت عن وجود زوائد في جسم الإنسان بلا فائدة أو دور، ولا يوجد عضو تطور في جسم الإنسان من السلف إلى الخلف، وتحدثنا عن بعض من هذه النقاط في الاستفسار الأول، وتستطيع أن تبحث بنفسك، ولكن كن عادلًا فيما ستجد وفي حكمك. (أنصحك أن تبحث في خرافة تطور عين الإنسان، واقرأ بنفسك كمية الأدلة العلمية التي تنسف هذه الخرافة)

وهنا خبث المؤلف أنه أوجد لك الحبكة الدرامية التي تنجح القصة!! إبليس يريد أن يحقرك في نظر نفسك.. إبليس يريد أن يجعلك وضيع الأصل غير مُكرم، يريد أن يجعل وجودك في الدنيا صدفة تطورية بدأت بالصدفة وتنتهي بالصدفة، بدأت من لا شيء وتنتهي بلا شيء.. يريدك أن تطرد نفسك من نعيم ورحمة الله.. إبليس لا يريدك أن تعرف وتؤمن بأن الله وضعك سيد هذا الكون، وسخره لك، وجعلك خليفته.. إبليس لا يريد أن يتذكر مشهد التكريم والطرد، ولا يريدك أن تتذكره.

ومن القصص التي تُروى لتؤكد فكرة وجود أسلاف لأبناء آدم في الماضي، هي وجود بعض الآثار الحجرية التي تدل على أن الذي استخدمها هم أسلافنا بمنتهى الدقة. الغريب أنه إلى يومنا هذا تستطيع بعض القرود استخدام الأحجار والأدوات الحجرية، وبشكل عالي الدقة في أمورها الحياتية، ولكنها لم تتطور وبقيت قرودًا!!

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]

لِمَ هذا الإصرار على أن الإنسان تطور من كائنات أقل منه، مع أن العلم والمنطق يرفضون ذلك التطور المزيف الشيطاني، ولا يوجد أي دليل مادي ملموس عليه... لِمَ كل هذا الإصرار على أن الإنسان بدأ همجيًّا واكتشف كل شيء بالصدفة، مع العلم أن في هذا استحالة علميًّا وعمليًّا، ويتنافى مع تاريخ حضارات العالم القديم... فإذا افترضنا أن الإنسان اكتشف النار من خلال احتكاك بين حجرين، هذا عمليًّا مستحيل، لأنه يحتاج توافر عوامل كثيرة في وقت واحد، مثل طبيعة الحجرين، وقوة الاحتكاك، والجو المحيط... وإذا افترضنا أن تلك العوامل قد توفرت، فهذا الاحتكاك يولد شررًا فقط، ويريد الأخشاب كي تشتعل بها النار (أحضر حجرين وحكهما ببعض دون استخدام أي شيء آخر، وأخبرني عن النار التي ستشتعل وماذا فعلت بها؟) وأهم من ذلك كيف عرف فوائدها وأضرارها؟! صدف صدف صدف... كل شيء حولنا ما هو إلا صدفة!! هل هذا علم؟!

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠]

﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧١-٧٢]

"من يقول أنه يعرف كيف بدأت الحياة أو من أين أتت، فهو إما جاهل أو محتال " ستيوراد كوفمان، عالم الأحياء الأمريكي.

ثم يأتي بعد قصص النشأة المزيفة تزييف وتغيير خلقة الإنسان:

القصص الشيطانية لتشوية أخلاق وسلوك الإنسان تُروى من قديم الزمن، ولكن قمة نجاحها كان في منتصف القرن العشرين، فكلما انخفضت الأصوات الذاكرة لله، ارتفع صوت الشيطان... وللأسف هناك الكثير من الضحايا لتلك الأفكار الشيطانية القذرة (على سبيل المثال عمليات تكبير وتجميل الثدي ساهمت بشكل كبير في زيادة نسبة سرطانات الثدي للنساء اللائي يتعرضن لهذا النوع من العمليات)..

فلقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم.. فاعتراضك على خلقتك هو اعتراض على الله -تعالى-، وهذا ما يريده الشيطان، لذلك ترى أسواق الرقيق وتحويل الإنسان إلى سلعة للعرض والاستمتاع بلا عقل أو رأي أو اختيار تعود بقوة، ولكن بمسميات جديدة كمراكز التجميل، ونحت القوام، وغيرها من المصطلحات التي انتشرت كالنار في الهشيم في كل أنحاء الأرض، وبالأخص بلاد العرب.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]

ثم تأتي مرحلة تشويه فطرة وأخلاق وسلوك الإنسان:

كما ذكرت لك في مقدمة هذا الاستفسار أن العري والتعري من أهم علامات أتباع الشيطان كما حدث مع أبوينا.

فالتعري عكس فطرة الإنسان ذكر أو أنثى شرقي أو غربي.

هل تعلم يا كريم الأصل أن مهندس الميكانيكا الفرنسي مصمم المايوه البيكيني لويس ريارد عام ١٩٤٦ لم يحصل على موافقة أي عارضة أزياء لارتدائه وتقديمه للجمهور! وكان سبب اعتراضهم أنه يظهر ويعري معظم الجسم!! ولم يجد إلا راقصة متعرية تتعرى في كازينو باريس تُدعى ميكلين بيرناردیني، هي التي وافقت على ارتدائه!!

بمعنى أنه في عام ١٩٤٦ لم توافق أي امرأة على ارتداء المايوه البيكيني في العالم الغربي، إلا عاهرة!! وقابل هذا المايوه اعتراضًا كبيرًا من الكنيسة ومعظم الهيئات الحكومية، إلى أن تم إرسال ما يقارب ٥٠ ألف خطاب إعجاب إلى الجريدة التي نشرت صور البيكيني لأول مرة، مما قلل من حدة المعارضة (تُرى من أرسل هذه الخطابات رغم اعتراض كل أطياف المجتمع عليه حتى قبل عرضة!!!) كما كان سبب انتشار البيكيني في أمريكا في الستينات هو ظهور ممثلات بالبيكيني في فيلم سينمائي (بيكيني بيتش)، للممثلة أنيت فونيسيلو سنة ١٩٦٤ كعادة إبليس وأتباعه، يستخدمون الدعاية القوية المسموعة والمقروءة والمرئية من أجل تحويل الحرام والفجور إلى عادة وذوق وموضة، والخطير هنا هو تغيير فطرة المرأة السليمة، فبدلًا من أن تكون صعبة المنال وأغلى من الماس تصبح مانيكان في فترينة!! (اعتراض المجتمع الغربي لم يكن على البيكيني وفقط، بل كان من قبله على الفساتين كاشفة الصدر والقصيرة، فقد كان في الماضي من علامات رقي المرأة وأصلها العالي والغالي ارتدائها ملابس طويلة كثيرة الطبقات)..

﴿يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَوَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨)﴾ [الأعراف: ٢٧-٢٨]

وأخطر أفعال إبليس هي محاولة تغيير فطرة الإنسان وإبعاده عن الطريق السليم والطهارة من خلال الشذوذ والانحلال...

كان الشذوذ الجنسي بين الذكور يلاقي قديمًا عقوبات قاسية في المجتمع الغربي المسيحي، كانت تبدأ بالإعدام حرقًا أو غرقًا دون المحاولة في دراسة الأسباب وعلاجها (والشذوذ في تلك الفترة كان أيضًا من طقوس الجماعات السرية الخارجة عن الكنيسة والقصور الملكية، مثل جماعة فرسان الهيكل!!)، ثم مع الزمن بدأت تقل العقوبة إلى الحبس، ثم الغرامة ثم تحولت إلى الدعم!!

ومن زمن قريب كان كل من يعاني من الشذوذ الجنسي في المجتمعات الغربية يواجه معاملة قاسية ومهينة في المجتمع، ومن أشهر هؤلاء الأشخاص في القرن العشرين عالم الرياضيات والكمبيوتر الإنجليزي ألن تورنج، الذي ساهم بشكل كبير في كشف أسرار النازية والطابور الخامس في الحرب العالمية الثانية، ورغم ذلك مع اكتشاف أنه يعاني من شذوذ جنسي تم فصله من الجامعة التي كان يعمل بها، وتم نبذه في المجتمع، مما أوصله إلى الانتحار!

وهنا يبرز الشيطان دور الضحية في القصة، فيصبح من يعاني من الاضطراب أو الشذوذ الجنسي ضحية لأسباب ليس له دخل فيها، لذلك يجب على المجتمع الافتخار بهم ودعمهم، ومن يعترض على أفعالهم يكون همجيًّا وعدوانيًّا وعنصريًّا ومتخلِّفًا ومتطرفًا.

عندما تحدث الله -تعالى- في القرآن الكريم عن قصة سيدنا لوط مع قومه قال أنه أرسل إليهم أخاهم لوطًا، وهذا دليل على أن الناس في الأساس أخوة، وأن الأخطاء والذنوب موجودة معنا دائمًا، ولكن يجب أن نساعد أنفسنا ونساعد بعضنا البعض على التخلص منها، وليس أن ننفر من المخطئ، ونصدر عليه العقاب قبل فهم الأسباب ومحاولة حلها.. هذا هو الأسلوب الذي تعلمناه من كتاب الله في التعامل مع

هذه الاضطرابات وهذا الشذوذ، وهذه هي الوسطية في التعامل التي أمرنا بها الله، لأن التطرف يسهل دخول الشيطان، وهذا ما حدث في تعامل الغرب مع الشذوذ.. الشيطان هو من أخذهم إلى التطرف اليميني ثم التطرف اليساري.

هل تعلم أن هناك أبحاثًا كثيرة أقرت أن إدمان الجنس والإباحية مع الوقت يصبح غير مشبع للمدمن، مما قد يؤدي به إلى الشذوذ في رغباته وميوله الجنسية، وأقرت تلك الأبحاث أن علاج تلك الانحرافات والشذوذ الجنسي هو الدخول في علاقة سليمة مع طرف من الجنس الآخر، وهذا كان قول سيدنا لوط -عليه السلام- لقومه: هؤلاء بناتي هن أطهر لكم... وهذه هي خطوات الشيطان لتغيير فطرة وسلوك الإنسان.. التعري في الشوارع والأماكن العامة والخاصة والشواطئ، والتعري في سياق الدراما في الشاشات الكبيرة والصغيرة، ثم شركات إنتاج الإباحية الضخمة، مع توفر الإنترنت وأجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة، وقبل كل ذلك تشتت الأسرة على مواقع التواصل الاجتماعي، أدى كل ذلك إلى انتشار الإدمان الجنسي الذي يؤدي إلى الشذوذ والاضطراب الجنسي.

نتيجة لتلك الخطوات الشيطانية أصبحت نسبة الشاذين جنسيًّا في العالم تقارب ٤٪، ولمعرفة قيمة هذا الرقم عليك أن تعرف أن عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للعالم يقارب أيضًا ٤٪، وهل تعلم أن ما تسمى بمنظمة الصحة العالمية التي تُخيف العالم منذ عام ٢٠١٩ من شبح كورونا، وتُفزع العالم كل فترة بتحور جديد لهذا الشبح، وتجبر العالم على أخذ جرعات مستمرة من أنواع لا متناهية من التطعيمات الإجبارية.. هل تعلم أن تلك المنظمة لا تقبل أي أبحاث علاجية تخص الشذوذ الجنسي! مع العلم أن ذلك الشذوذ أصاب العالم بأخطر

الأمراض، مثل الإيدز والزهري وأهم من ذلك أنه يهدد الجنس البشري بالانقراض، فالشذوذ لا يُعمر الكون..

الطريف أن من العقوبات التي تُطبق في البلاد التي تؤيد الشذوذ ولا تجرمه على من يعترض على الشذوذ، ويرفض نشره في المجتمع هي الطرد خارج البلاد، أو من عمله، أو خارج دائرة الضوء في المجتمع!!.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]

فهذا هو الرد المتوارث لأتباع إبليس على من يدعوهم إلى العفة والطهارة!!

وهنا يتدخل إبليس المطرود بأهم حبكة درامية يستخدمها في قصصه الخاصة بتغيير خلق الله، وهي حبكة علم الظن والافتراضات، فهو يعلم علاقة أكثر أهل الأرض بالعلم والنفوس المريضة والضعيفة!!..

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]

ومن أهم نقاط علم الظن والهوى التي تبرر الشذوذ الجنسي هي:

أولًا دراسة التوائم... في بدايات محاولة ربط الشذوذ الجنسي بالجينات، حاول طبيب نفسي يُدعي فرانز جوزيف كالمان من خلال دراسة قام بها على التوائم أن يؤكد على هذا الربط، فخرج بأنه إذا كان أحد التوائم مثليًّا، فإن الآخر يكون كذلك أيضًا، ولكن كعادة علم الظن الذي تهواه الأنفس الضعيفة ينهار سريعًا، فقد تم إثبات زيف هذا الكلام، وانتقد الفيلسوف إدوارد شتاين هذه الدراسة، لأنه لم يقدم أي دليل على أن التوائم المدروسة هي بالفعل توائم متطابقة جينيًّا...

وفي عام ٢٠١١ نُشرت دراسة على the journal of human sexuality في نفس نقطة البحث للدكتور نيل واينهد، والتي تثبت عدم وجود أي ربط بين الشذوذ الجنسي والجينات، وقيل فيها بسبب حساب نقص الكسر الجيني فإننا آمنون بالقول بأن الناس لا يولدون بهذه الصفات... شاذين جنسيًّا..

وفي عام ٢٠١٦ كان هناك مراجعة عامة في هذه النقطة، قام بها عالم الإحصاء الحيوي لورنس مايير، وعالم النفس بول ماكهوغ، وجاء فيها أنه من خلال تلخيص الدراسات على التوائم يمكننا القول أنه لا يوجد أي دليل علمي واضح بأن الجينات تحدد الميل الجنسي لدى الفرد!

إن فهم التوجه الجنسي على أساس أنه أمر فطري ثابت بيولوجيا عند البشر، أي أن الناس الشواذ جنسيًّا ولدوا هكذا، غير مدعوم بأدلة علمية.

ثانيًا علم الوراثة... أول ما بدأ الحديث عن الشذوذ الجنسي وعلاقته بعلم الوراثة كان عام ١٩٩٣، على يد عالم يُدعى دين هامر، قام بدراسة ٤٠ زوجًا من أخوة مثليي الجنس، وقال أن هناك رابطًا محتملًا بين المؤشر الجيني على كروموسوم إكس والشذوذ الجنسي، ولم يدعِ أو يؤكد أن هذا المؤشر الجيني هو السبب الفعلي للشذوذ، بل فقط احتمل هذا،

وبعد ذلك قام الدكتور جورج رايس بإعادة تلك الدراسة وبنطاق أوسع، واستنتج في نهاية تلك الدراسة أنه من غير الواضح لماذا تختلف نتائجنا تمامًا عن نتائج دراسة هامر، دراستنا كانت على نطاق أوسع من دراسة هامر، فمن المؤكد أنه كانت لدينا قدرة كافية للكشف عن تأثير جيني أهم مما تم إعلانه في دراسة هامر... وفي عام ٢٠١٢ قامت الجمعية الأمريكية لعلم الوراثة البشرية بدراسة لتحديد الجينات

المرتبطة بالشذوذ الجنسي على أكثر من ٢٣ ألف فرد، وكانت النتيجة هي "لم نجد دليلًا يجمع بين الهوية الجنسية وتعدد أشكال النيكليوتيدات المفردة على الكرومسوم إكس عند الرجال والنساء"

وفي عام ٢٠١٥ قدمت نفس الجمعية دراسة لجامعة كاليفورنيا، ونُشرت في جريدة التليجراف وجاء فيها : "المثلية الجنسية يمكن أن تكون ناجمة عن البيئة بعد الولادة".

وكما قال الدكتور بول ماكهوغ الذي عكف على دراسة المثلية الجنسية ما يقارب أربعين عامًا عندما سُئل في هذه القضية عام ٢٠١٠:

كما قلت سابقًا، لا يوجد أي جين مثليّ الجنس، وهناك عوامل أكثر تأثيرًا من البيولوجيا، وقد نشرت أيضًا الجمعية الأمريكية للطب النفسي وقالت: على الرغم من أن كثيرًا من الأبحاث أخذت على عاتقها مسألة تقصِّي التأثيرات الجينية والهرمونية والاجتماعية والثقافية في الميول الجنسي، لم تظهر أي اكتشافات تتيح للعلماء الاستنتاج بأن الميل الجنسي يتحدد بواسطة عامل معين أو مجموعة محددة من العوامل.

ويقول عالم الإحصاء والأحياء نيل وايتهند في أحسن الحالات تأثير الجينات مجرد تأثير ثانوي..

ثالثا الهرمونات... لمعرفة إذا ما كان هناك أي ربط بين الهرمونات والشذوذ الجنسي، قامت الدكتورة أمي بانكس وناينت غارترل بعمل دراسة في هذا الشأن عام ١٩٩٥، وكانت النتيجة أن الدراسات التي أجريت على الرجال والنساء الذين عانوا من عيوب ما قبل الولادة في هرمون الاستلاب الأيضي، لم تظهر أي زيادة متلازمة في السلوك

المثلي، ولم تدعم أي معطيات ربط بين الهرمونات وبين الميول الجنسي لدى البشر..

رابعًا الدماغ: في عام ١٩٩١ قام عالم الأعصاب سايمون ليفاي بدراسة إن كان هناك اختلاف بين أدمغة الرجال الشواذ جنسيًّا، وبين الرجال الطبيعيين، وتحديدًا اختلاف في الحجم في مجموعة خلوية معينة للنواة، وقال أنه لمن المهم توضيح ما لم أصل إليه.. لم أثبت أن المثلية الجنسية جينية، ولم أجد أي سبب جيني لكون الشاذ جنسيًّا شاذًّا، ولم أبيّن أن الشواذَّ مولودين هكذا، كما أنني لم أعثر على مركز مثلي في الدماغ؛ فعند البحث في أدمغة البالغين لا نعلم إذا كانت الاختلافات التي وجدت حاضرة منذ الولادة أم لاحقًا...

وفي عام ١٩٩٧ نشر عالم النفس مارك بريدلوف دراسة قام فيها بدراسة آأثار المثلية الجنسية على الدماغ، وجاء فيها "نتائج الدراسات تعطينا برهانًا على صحة ما نعلمه نظريًّا حول التجارب الجنسية وكيف يمكنها أن تغير بيئة الدماغ كما تغير الجينات تمامًا"..

كما حدد عالم النفس نورمان دوريدج في كتابه «الدماغ الذي يغير نفسه» أن الدماغ يمكن أن تتغير بسبب عوامل كثيرة جدًّا كتجارب الحياة واللعب على البيانو وعوامل أخرى كثيرة..

كما ترى علم الظن سريعًا ما ينهار ويتلاشى، إلا في النفوس المريضة التي تجد فيه مسكنًا لجرائمها تجاه نفسها وتجاه الإنسانية.. كل من ذكرتهم في الرد على علم الظن ليسوا عربًا وليسوا مسلمين، ولكنهم بشر أناس من بني آدم، يخافون على إنسانيتهم من الانحدار والانحراف والانقراض والأوبئة... لديهم عدل وحق في قلوبهم، يمنعهم من تزوير الحقائق والإضرار بالبشرية.

لذلك جاء سيدنا لوط محذرًا قومه مما يفعلون من قبل التوراة والإنجيل والقرآن، من قبل موسى وعيسي ومحمد -عليهم الصلاة والسلام-... لأن ما كان يفعله قومه يهدد البشرية كلها وإعمار الأرض.

فكما رأيت وسترى أكثر إن بحثت أن الأدلة كثيرة على إلغاء فكرة أن الميول والشذوذ الجنسي هو مرض يُفرض عليك، وستجد أدلة أكثر وأكثر عن الأمراض والمشاكل النفسية والنهايات المأسوية، بسبب هذا الجرم، ولن تجد فائدة واحدة تعود على الفاعل أو على المجتمع.. فلماذا يسعى أنعام البشر لانتشاره وإظهاره والدفاع عنه؟؟ لأنهم لا يتحركون إلا بأمر من سيدهم الذي لا يريد إلا الشر والخراب لبني آدم..

فإذا كان الفاعل يسعى لتلبية نداء شهوة مريضة بداخله، والتي تشعره بمتعة مزيفة تأكل جسده وتهلكه في الدنيا والآخرة، وتهلك مجتمعه، ويلقى دعمًا في النهاية! فكيف سيتوقف عما يفعل؟!! ولربما نرى في المستقبل دعمًا للمدمنين ولمَ لا؟!! فاليوم نرى بعض الجمعيات التي بدأت في دعم من يمارس الجنس مع الأطفال (البيدوفليا)، وسنرى غدًا من يبرره علميًّا... انظر إلى أين يتجه العالم؟! وتريد أن تقنع نفسك أنهم يحافظون على صحة البشر، وعلى سلامة بيئتهم وأجوائهم ومساحتهم الخضراء، ويسعون لصناعة السلام بين الدول، والحد من أسلحة الدمار الشامل، ونشر العلم والتكنولوجيا التي تيسر على الناس حياتهم!!

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦)﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦]

تغيير صورة الأرض

بالرجوع إلى الوراء قليلًا وتذكر ما قاله إبليس لله -عز وجل- عندما سأله عن سبب عدم سجوده لآدم قال: خلقتني من نار، وخلقته من طين.. فاحتقار إبليس كان لآدم ولأصله الطين الذي جاء من الأرض، فإبليس يرى أنه أفضل من آدم، وأنه لو سُلط عليه لقضى عليه.. ويرى أيضًا أن النار أفضل من الطين، وأن الطين يجب أن يكون تابعًا للنار.

إبليس يكره الأرض أصل الإنسان، ومصدر الطين الذي خُلق منه الإنسان، ومركز خلافة الإنسان، ويحتقرها كما يحتقر الإنسان.. فالطين بالنسبة لإبليس يجب أن يكون دائمًا تابعًا للنار، وأقل منها شأنًا.. فكما حاول إبليس تغيير حقيقة خلق وتكريم الله للإنسان، إلى حيوان تطوَّر تدريجيًّا، وتعلَّم التفكير والكتابة بالصدفة... يحاول إبليس أيضًا تغيير خلق الله للأرض، وجعلها كرة صغيرة في السماء لا تستطيع العيش بدون النار مصدر وجودها، وإيجاد الحياة عليها، كي ينكر خلق الله لها بالمساواة مع السماء، وبعرض لا يقل عن عرض السماء، وبتدريج لا يقل من تدريج السماوات (٧ سموات و٧ أراضٍ)..

(إبليس لا يرى الأرض إلا منفى نفاه الله له بعد كفره ملعونًا، أما بالنسبة للإنسان فالأرض هي الطريق لنعيم الله، فإبليس يريد تشويه وتدمير وطمس معالم هذا الطريق)

قال تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩]

دعنا نستعرض محاولات إبليس لطمس معالم الأرض التي خلقها الله..

طبقًا للصورة التي نشرها إبليس عن الأرض بين البشر، فالكون بأكمله بدأ من انفجار ضخم دون معرفة السبب أو المسبب كما تحدثنا سابقًا، ثم بعد ذلك الانفجار بحوالي ٨ مليار سنة تكوَّنت المجموعة الشمسية من سحابة جزيئية كانت تدور بشكل سريع، ثم تجمعت الكتلة في المركز وزادت درجة حرارتها، فتكون النجم المركزي وهو الشمس، وكانت الشمس في مرحلتها الأولى تُسمى ثورًا، وكان يرافقها قرص مُكون من مواد الكواكب الأولى، فتنامى هذ القرص وتكونت الكواكب الصخرية الصغيرة والكواكب الغازية من السحابة والغبار.

تكونت الأرض بعد حوالي ٢ مليار سنة من بداية تكوُّن المجموعة الشمسية، وفي بداية حياتها تعرضت للاصطدام بكوكب آخر كان قريبًا من مدار الأرض يُدعى «ثيا»، أدى الاصطدام إلى ميلان محور الأرض حوالي ٢٤ درجة تقريبًا، مما نتج عنه تعاقب الفصول بسبب اختلاف زاوية سقوط أشعة الشمس على نصفي الكرة الأرضية الشمالي والجنوبي (بسبب ميلان محور الأرض)..

ونتج أيضًا عن هذا الاصطدام تكوُّن القمر الذي يُعد من حطام الاصطدام، وكان في محيط سيطرة جاذبية الأرض، لذلك هو يدور حولها، ولكنه يبعد عنها ٣,٨ سم كل سنة، إلى أن يأتي وقت وسيخرج من سيطرة جاذبية الأرض..

مدار الأرض حول الشمس بيضاوي، أي تقترب الأرض للشمس في جزء من المدار، وتبتعد في جزء آخر. "أقرب نقطة تقترب فيها الأرض للشمس تكون على بُعد ١٤٧٠٠٠٠٠٠ كم من الشمس، وهذا في فصل الشتاء... أبعد نقطة تكون فيها الأرض عن الشمس تكون على بُعد ١٥٢٠٠٠٠٠٠ كم وهذا في فصل الصيف"

أما عن الماء الموجود على الأرض وسر وجود الحياة عليها، فهناك فرضيات مختلفة عن مصدره، وكذلك عن الأمطار.. مُحتمل أن تكون تلك المياه جاءت نتيجة للتصادم بكوكب «ثيا» أو نتيجة للعديد من النيازك التي اصطدمت بالأرض في مرحلة تكوينها. والمياه على الأرض بحالتها سائلة، بسبب البُعد المناسب بينها وبين الشمس.

شكل الأرض من الفضاء يُشبه الكمثرى الزرقاء، ليست كروية تمامًا، بل هي أكثر انبعاجًا عند الوسط، عند خط الاستواء، بسبب سرعة دورانها، كما أن النصف الجنوبي منها أكبر من النصف الشمالي، وطبقًا لمحطات ووكالات الفضاء فالصورة الوحيدة التي أُخذت للأرض كاملة كانت في رحلة أبولو ١٧، التابعة لوكالة الفضاء الأمريكية ناسا، وتُسمى بصورةblue marble ..

محيط كوكب الأرض ٤٠٠٧٥,١٦ كم، وعرضها ١٢٧٥٦ كم، ومساحتها ٥١٠٠٧٢٠٠٠ كم، وسرعة دوران الأرض حول نفسها ١٦٦٩,٨ كم/ساعة، وسرعة دوران الأرض حول الشمس حوالي ١١٠ ألف كم/ساعة..

تعاقب الليل والنهار بسبب دوران الأرض حول محورها، وتعاقب الفصول بسبب ميلان محور الأرض أثناء دورانها حو الشمس... الشمس هي مصدر الضوء والنهار على الأرض، وبحسب موقع الأرض من الشمس يكون طول الليل والنهار... وتدور المجموعة الشمسية بأكملها حول مركز المجرة، والمرجح أنه ثقب أسود كبير في قلب المجرة.

حجم الشمس (١,٤*١٠)*٢٧ متر مكعب، ويمكن وضع ١,٣ مليون كرة أرضية بداخلها، وكتلتها ١,٩٨٩*١٠*٣٠ كجم، أي ما يعادل ٣٣٣٠٠٠ مرة كتلة الأرض، وقطرها ١٣٩٢٠٠٠ كجم، أي ١٠٩ مرة ضعف كوكب الأرض..

كتلة أي مجرة تُقاس بالنجوم والكواكب والأجسام الفضائية التي بها، وهناك جزء كبير من كتلة أي مجرة مسؤولة عنه المادة السوداء التي لا يعرف عنها العلماء إلى الآن أي شيء، وهي تمثل النسبة الأكبر من الفضاء..

يمتلئ الفضاء بالغبار الفضائي، والذي تكوَّن منه كل الأجسام الفضائية، والذي استبدل العالم ستيف هوكينج اسمه بالدخان بدلًا من الغبار، لأنه يرى أن لفظ الدخان أكثر دقة..

ولأن الله -تعالى- أمرنا بالقراءة والمعرفة والتدبر والتعقل في الأمور، ولم يأمرنا بالطاعة العمياء وإغماض العين، ولأن الله هو الحق، وكل ما في كونه يدل عليه ويهدينا إليه، لذلك سأرد على صورة إبليس التي رسمها للأرض في عقولنا بالعلم المثبت بالتجربة والدليل قبل أي شيء.. فيا من تؤمن بالعلم، اسمع وانظر وفكر فيما سأقول بإذن الله:

أولًا كما ذكرنا سابقًا أن القانون الثاني للثرمو ديناميك والذي يُعد هو وكل قوانين الثرمو ديناميك من أساسيات وأعمدة العلم المثبَت والمجرَّب ينفي ويرفض أن ينتج عن الفوضى نظام، بل العكس، يؤكد هذا القانون أن الأنتروبيا أي الفوضى والهرجلة تزيد في أي نظام مستقل مع الوقت، فكيف أنشأ الانفجار نظامًا كونيًّا كاملًا، وكيف نشأت المجموعة الشمسية من رحم هذا الانفجار، وأيضًا من انهيار آخر لجاذبية سحابة جزيئية.. وعلى مدار ٦ مليار سنة تتحول الفوضى إلى نظام، وهذا عكس العلم تمامًا، فالعلم يقول بالتجربة والدليل أن النظام يقل تدريجيًّا، ويتَّجه إلى فوضى، وليس العكس، فكيف نشأ النظام الشمسي من الفوضى... ولم تقتصر الفوضى على

صناعة المجموعة الشمسية والكون بأكمله، بل وصلت إلى صناعة الأرض وفصولها الأربعة وقمرها المنير، وهذا كله منافٍ للعلم الذي يرفض تمامًا أن ينتج عن تصادم بين كوكبين نظام مستقل ثابت ومحكم كالذي تراه في السنة القمرية وتعاقب الفصول.. هل رأيت في حياتك اصطدامًا أو انفجارًا يؤدي إلى نظام؟؟ بالمنطق والعلم: لا، فكيف تريد مني أن أقتنع أن الفوضى والانفجار هي التي أدت إلى هذا النظام الدقيق الذي نحيا فيه.. آسف لا يوجد عقل يُفكر يقبل بهذا!!

"التفسير الوحيد لنشأة الكون بهذه الطريقة المنظمة والدقيقة هو وجود إله تعمد خلق كائنات حية مثلنا" ستيف هوكينج في كتاب تاريخ موجز للزمن

ثانيًا يقول القانون الثاني في الثيرموديناميك أن الطاقة الموجودة في أي نظام تنتشر وتتوزع فيه بالتساوي مع مرور الوقت.. فتتساوى درجة الحرارة والضغط والكثافة في النظام بأكمله. إذًا فلماذا لم يحدث هذا أثناء تكوين النظام الشمسي.. لماذا تمركزت الغالبية العظمى من الطاقة والكتلة والحرارة في المركز ؟! هذا منافٍ للعلم وقواعده!!

ثالثًا يؤكد القانون الثاني للثيرموديناميك أن الأنتروبية في أي نظام لا يمكن أن تنخفض، بل تزيد مع العمليات الطبيعية التلقائية التي تحدث في النظام.. إذًا الفوضى طبقًا لقوانين العلم تزداد مع الوقت في الأنظمة مع العمليات الطبيعية فيها، ورغم ذلك فالكون الذي أُسس من انفجار، والمجموعة الشمسية التي تكوَّنت من انهيار، والقمر والفصول التي ظهرت من تصادم، تسير بنظام دقيق منذ مليارات السنين، ونحو المزيد من النظام، وهذا على حد قولهم!! العلم يقول في الطبيعة يتحول النظام لفوضى مع الوقت، ولكن رواد علم الفضاء في القرن العشرين والواحد والعشرين يقولون أن الفوضى هي من أوجدت أدق الأنظمة في الكون!!

قوانين الثيرموديناميك مثبتة بالتجربة والدليل يا مَن تؤمن بالعلم وحده، ولكن كلام رواد الفضاء كله مبني على الظن، ولا يوجد عليه دليل مُثبت واحد، لأنه يتنافى مع المنطق والعلم!!

"يوجد بالنسبة لي دليل قوي أنه هناك شيء ما يحدث وراء كل هذا.. يبدو الأمر وكأن أحدهم قام بضبط أرقام الطبيعة بصورة دقيقة لإنتاج الكون".. الفيزيائي بول دافيز

هل الفوضى تُنتج؟ هل الفوضى تُنظم؟ هل هذا كلام يخاطب العقل والمنطق؟!

قال تعالى ﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢)**﴾ **[الفرقان: ٢]**

من يخاطب عقلك بالمنطق، ومن يأمرك بالأوهام والخرفات؟؟

رابعًا يقول علم الفضاء أن الأرض في فصل الشتاء تقترب من الشمس حوالي ٥٠٠٠٠٠٠ كم، وتبتعد عنها في فصل الصيف بنفس المسافة.. قبل التحدث عن الحرارة والبرد وزاوية سقوط أشعة الشمس، أود لفت الانتباه لشيء آخر.. كتلة الشمس -كما يقولون- ٣٣٣٠٠٠ مرة كتلة الأرض، فهل مع الاقتراب أكثر لهذه الكتلة الضخمة لا يؤثر هذا على جاذبيتها للأرض؟ ألا يستدعي هذا أن تدور الأرض بشكل أسرع كي تهرب من جاذبية هذه الكتلة الضخمة بعد الاقتراب منها؟ وماذا عن القمر الأصغر حجمًا من الأرض، هل هذا الاقتراب لا يؤثر عليه؟ كوكبا عطارد والزهرة يدوران بسرعة أكبر من الأرض حول الشمس، لأنهم أقرب إلى الشمس من الأرض، وهذا على حد كلام علم الفضاء.. إذًا فكلما تقترب من الشمس تزيد سرعة دورانك كي تهرب من تأثير جاذبيتها التي تزيد مع التقارب! وهل لو حدث هذا التغيير في السرعة لا يؤدي إلى الإخلال بعوامل كثيرة على الأرض؟ ولكن سرعة دوران الأرض حول الشمس حددها علماء الفضاء بـ ٢٩,٧٨ كم في الثانية، أو ١١٠ ألف كم في الساعة.

ويقول علماء الفضاء أن القمر يبتعد عن الأرض ٣,٨ سم كل سنة، وهذا يؤثر على جاذبية الأرض للقمر وعلى المد والجزر.. ولكن اقتراب وبُعد الأرض عن الشمس! ٥٠٠٠٠٠٠ كم لا تؤثر على جاذبية الشمس للأرض ولا يؤثر على أي شيء!! أمر يستحق الفهم والتفكير.

خامسًا بالنسبة لنقطة الحرارة التي أكاد أجزم أنه لا يعلمها الكثيرون، وأن أي شخص ستخبره بأن الأرض تقترب أكثر من الشمس في موسم الشتاء سيندهش، ولن يصدق في الغالب، لأن تجربته وإحساسه يقولون عكس ذلك، فهل الاقتراب من جسم حراري ضخم لا يعني التعرض لمزيد من الحرارة!

فماذا عن الشمس بكتلتها الضخمة والانفجارات والاندماجات النووية الهائلة التي تحدث بداخلها باستمرار من أجل اندماج الهيدروجين وإنتاج الهيليوم... هل الاقتراب لها لا يؤدي إلى مزيد من الحرارة؟ بل العكس، المزيد من البرد بسبب زاوية سقوط الأشعة؟ نعم من الممكن أن تؤثر زاوية سقوط الأشعة على الإحساس بالحرارة، وهذا يحدث معنا كل يوم، فشمس الصباح لا تكون بحدة وحرارة شمس الظهيرة، لأن في الظهيرة تكون أشعة الشمس عمودية (وهذا يحدث طوال العام كل يوم)، ثم تنخفض حدة الحرارة بعد ذلك بسبب ميلان أشعة شمس مع الغروب..

وهنا يجب أن نلاحظ أمرين: الأول أن عمودية أشعة الشمس وميلانها يحدث كل يوم طوال العام، ويؤثر على الحرارة، لأن بُعد الشمس عن الأرض يكون واحدًا، بمعنى أن في فصل الصيف تقترب الشمس من الأرض، لذلك عندما تتعامد أشعة الشمس في الظهيرة تشعر بالحر الشديد أكثر من وقت الشروق والغروب، حيث ميلان أشعة الشمس.. وفي فصل الشتاء تبتعد الشمس عن الأرض، فمع تعامد أشعة الشمس في

الظهيرة تشعر بالدفيء أكثر وليس الحر، وهذا يجعلنا نتجه إلى الأمر الثاني، وهو أن القرب أو البعد عن مصدر الحرارة "الشمس" هو المسبب الأول للشعور بالحر أو الدفء أو البرد... وليس من المنطق أن تقول أننا نقترب من الشمس ٥٠٠٠٠٠٠ كم في الشتاء، ولكن زاوية سقوط الأشعة هي التي تفقدنا الشعور بحرارة الشمس، لأن الاقتراب من حرارة الشمس سيؤثر تلقائيًّا علينا بالإحساس بمزيد من الحرارة.

سادسًا وأهم من كل ما سبق أن علماء فضاء اليوم يرجِعون سبب تعاقب الفصول لأمر غير علمي، ولا يوجد عليه أي دليل، وهو تصادم كوكب الأرض بكوكب آخر يُقارب حجم كوكب المريخ، أدى إلى ميلان محور الأرض، مما جعل اختلاف زاوية سقوط أشعة الشمس يحدث، ويحدث تعاقب الفصول واختلاف الفصول بين نصفي الأرض الشمالي والجنوبي.. يجب أن تعرف جيدا أن كل كلام علماء الفضاء مبني على افتراضات لا يقبلها العلم والعقل والمنطق، فكما قلنا قوانين العلم ترفض أن تؤدي الفوضى إلى نظام.

هل تصادُم كوكبين يؤدي إلى تعاقب الفصول بهذه الدقة والنظام على أحدهم، ودمار الآخر!!

سابعًا بالنسبة لشكل الأرض الذي قال علماء الفضاء أنها كرة زرقاء تدور حول الشمس، وتأخذها الشمس وتدور حول قلب المجرة "ثقب أسود عملاق في مركز مجرة درب التبانة"، وقالوا أيضًا أنه تم التقاط صورة في رحلة أبولو ١٧ كاملة للأرض.. ثم قالوا أن الكرة الأرضية ليست كرة كاملة الاستدارة، ولكنها منبعجة عند خط الاستواء بسبب سرعة دورانها، ثم قالوا أن النصف الجنوبي للأرض أكبر من الشمالي.. الغريب في الأمر أن الصورة التي التقطت عام ١٩٧٢ في رحلة أبولو ١٧ لا

تُظهر الأرض سوى كرة زرقاء كاملة الاستدارة لا يوجد بها أي انبعاج عند المنتصف، ولا ترى النصف الجنوبي أكبر من الشمالي "شكل الكمثري"... لا ترى سوى الشكل الذي يتردد على مسامعنا وأعيننا منذ أن كنا أطفالًا، وحتى من قلب إنشاء محطات الفضاء من خلال شركات الإنتاج السينمائي من أجل ترسيخه في عقولنا.. الكرة الزرقاء كاملة الاستدارة!!

ثامنًا بالنسبة للقمر فأعتقد أنه لا داعي لتكرار أن الفرضية الأشهر لدى علماء الفضاء لوجود القمر فرضية تصادم كوكب «ثيا» لا تجوز علميًّا ولا منطقيًّا.. تجوز فقط في مناهج التغفيل والحفظ بدون فهم، وتنفيذ الأوامر بقلوب عمياء. ولكن ما سأتحدث عنه بخصوص القمر هو ما قالته ناسا عن القمر بعد رحلاتها المزعومة.. قالت ناسا أن القمر يبتعد عن الأرض كل عام ٣,٨ سم. تباعد القمر عن الأرض ٣,٨ سم كل سنة يعني أن الأرض والقمر كانا متلامسين من ١,٦ مليار سنة بحسب المبدأ الذي نشأت عليه فكرة الانفجار العظيم، (مع العلم أن علماء الفضاء قالوا أن نظام الأرض بدأ من ٤ مليار سنة وأن التصادم مع «ثيا» وظهور القمر كانا تقريبًا منذ نفس الفترة!)، وهذا على افتراض أن نسبة التباعد المزعومة ثابتة، والتي تُعد ٣,٨ سم لكل عام، وهذا لا يجوز علميًّا، لأنه مع اقتراب القمر أكثر من الأرض في السابق، ستكون المسافة التي يبعد بها عن الأرض أكبر من ٣,٨ سم كي يستطيع الهروب من جاذبيتها، وهذا يعني أن مدة ١,٦ مليار سنة ستقل أيضًا.

ثم إن تقارب القمر من الأرض قبل هذا التباعد المزعوم يعني أنه بالرجوع مليار سنة للوراء كان القمر قريبًا بدرجة تجعل المد والجزر يحدثان بمقدار أقوى بمليون مرة من الآن، (وهذا لا يسمح أبدًا بالحياة داخل البحار)، وأن القمر كان يدور ٣,٧ مرة

يوميًّا حول الأرض، وكل هذا لا يجوز علميًّا يا أهل العلم.. فلمَ هذا التناقض لدى علماء الفضاء؟

كتب العالم سبيك ساريس أنه كي يكون نظام الأرض والقمر مستقرين ويسمحان بالحياة للكائنات على الأرض، فهذا يعني أن هذا النظام وُجد تقريبًا منذ عشرة آلاف عام، ولكن هذا لا يجوز مع مأموري إبليس بتغيير خلق الله، لأن مدة عشرة آلاف سنة أو أكثر قليلًا لا تصلح لتطبيق فرضية الصدفة والتطور التي تحتاج لمليارات السنين كي تحدث.. لذلك وُجدت فرضية كوكب «ثيا» التي يستخدمونها لحل كل شيء، لأنها بمثابة التطور الجيني عند داروين، ليس لها دليل، ولا تجوز علميًّا، ولكنها تخدم الصدفة.. هذا هو فضاء اليوم.. النسخة الداروينية لخدمة الصدفة.

تاسعًا وتكملةً لطفرة «ثيا» الفضائية التي لا تعرف كيف ولماذا حدثت، ولا نملك عليها أي دليل من أي نوع، ولكن لا يهم، اسمع الأمر وحسب. المياه هي سبب وجود الحياة على الأرض كما يقول العلماء بسبب وجودها بصورة سائلة، ولكن إلى اليوم لا يعرفون من أين جاءت المياه مفتاح الحياة.. وُضعت فرضيات كثيرة، منها أشهر فرضيتين: الأولى هي فرضية النيازك الكربونية، ولكن أثبت فريق علمي ألماني أن هذه النيازك الكربونيية المزعومة اصطدمت بالأرض في وقت متأخر، وكما قلنا يجب أن يكون هناك متسع من الوقت كي يناسب التطور الداروني، والذي بدأ تحديدًا في المياه.. إذًا نحن نريد حلًّا آخر، ولكن لماذا حل آخر والحل دائمًا موجود أمام أعيننا! الفرضية الثانية كوكب «ثيا» هو دائمًا في الخدمة بدون أي دليل أو إثبات عليه، ولا منطق علمي، ونُشرت هذه الفرضية في مجلة نيترون أناتومي، لأنها تتماشى مع أغراض صاحب الأمر.

عاشرًا... حاول كثير من علماء الفضاء وضع فرضيات تتماشى مع العلم لإثبات أن القمر كان موجودًا منذ حوالي ٤ مليار سنة.. وكان النظام الأرضي القمري مستقرًا، ولكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، وأرجو أن تبحث بنفسك في هذا الموضوع.

النقطة الحادية عشر... فكرة الكرة الزرقاء ودورانها حول الشمس، وأن نار الشمس هي أساس كل شيء فكرة عقائدية نابعة من معتقدات صاحبها، ولذلك كان فيزاغورس عابد النار هو أول من أوجد فرضية تبعية الأرض للشمس، ودورانها حولها، ومن بعده في مختلف العصور أحيا فكرته أصحاب نفس الأفكار والمعتقدات الشيطانية كمنجم هولاكو الطوسي وكوبرنيكوس. فالأمر عقائدي بحت، وليس علميًّا، لذلك أخبرنا الله من ١٤٠٠ عام أن الشمس ما هي إلا آية من آيات الله، سخرها للإنسان، وحذرنا من تمجيدها وعبادتها، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ **[فصلت: ٣٧]**

والغريب أن رحلات ناسا المزعومة للقمر كانت باسم أبولو، وهذا اسم إله الشمس عند الإغريق، رغم أن الرحلات كانت للقمر!!

﴿**وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ**﴾ [النمل: ٢٤]

الثانية عشرة... هناك من العلماء الذين رفضوا صورة الفضاء والكرة الزرقاء التي تدور حول الشمس، لأنها لا تجوز علميًّا ولا منطقيًّا، وعلى رأس هؤلاء العلماء الذين رفضوا هذا التطور الفضائي، مخترع القرن العشرين: نيكولا تسلا، والذي كان يعتبر أن كل هذه الافتراضات الفضائية هراء، ونظرته الحرة تلك ساعدته على الوصول إلى

أمور كثيرة تخدم البشرية، منها توفير الكهرباء شبه المجانية لكل أهل الأرض، الأمر الذي رفض جي بي مورجان وبنكه تمويله!

ينفقون المليارات من أجل رحلات وهمية، وكشف أسرار فضاء، ويرفضون توفير الكهرباء لأهل الأرض بأقل التكاليف!! هل هؤلاء أهل حق وعلم ونور؟! وهناك العالم أريك دولارد الذي يرفض فكرة أن الشمس عبارة عن كرة تحترق في الفضاء، ويقول العالم بيتر ليندمان أنك إذا خرجت من الغلاف الجوي للأرض فلن ترى الشمس! وإذا بحثت ستجد علماء كثيرين يختلفون مع نقاط كثيرة من علم الفضاء التطوري، ولكن لا يُسلط عليهم الضوء تمامًا كما يحدث مع الاعتراض على نظرية داروين التطورية.

الثالثة عشرة... لم يختلف أحد على الذرة ومكوناتها التي لا نراها، لأن لها تأثيرًا وأدلة علمية مثبتة بالتجربة والدليل.. حتى أغرب النظريات عن الذرة والإلكترونات، كتجربة الشق المزدوج وقواعد ميكانيكا الكم، أُثبتت صحتها بالتجربة والدليل، وبُني عليها العديد من المشاريع العلمية، ولا يختلف عليها أحد.

ولكن علم الفضاء التطوري دائمًا عليه اختلاف، حتى في بلد ناسا، لأنه ليس بعلم بُني على التجربة والإثبات، ولكنه ظن تتنافى كل فرضياته مع النظريات العلمية المؤكدة والمثبتة، كحال التطور الدارويني. قال تعالى ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**﴾ **[ص: ٢٧]**

الرابعة عشرة... يقول علماء الفضاء أن الشمس هي مصدر الطاقة والضوء الوحيد للأرض، والظلام يأتي بغيابها، ولكن هذا أيضًا غير ملموس في أرض الواقع. طبعًا الشمس هي مصدر الضوء الأقوى للأرض، ولكن ليس الوحيد، فالشمس ليست هي

النهار، فمع غروب الشمس تمامًا لا تأتي الظلمة مباشرة، وقبل شروق الشمس أيضًا لا تكون الظلمة التامة.. وكذلك شاهد معظمنا في حياته كسوفًا كليًّا للشمس، كالذي حدث في مصر عام ٢٠٠٠.. ومع حدوث الكسوف الكلي للشمس لا يحدث إظلام تام.. لا يحدث إظلام الليل، فقط تنخفض الإضاءة بنسبة كبيرة بسبب غياب ضوء الشمس وبقاء ضوء النهار فقط، (لن ترى ظلمة تامة مع الكسوف إلا من خلال فيديوهات ناسا)، وكذلك شمس منتصف الليل التي تحدث في القطب الشمالي في صيف نصف الكرة الشمالي، وفي القطب الجنوبي في صيف نصف الكرة الجنوبي.. طلوع الشمس لا يعني أن الليل يتحول إلى ظهيرة ولا إلى الصباح المعتاد، على الرغم من سطوع الشمس في كبد السماء، ويمكنك أن ترى صور شمس منتصف الليل وتحكم بنفسك، وإذا كانت الشمس هي النهار فكيف يحدث اجتماع النهار والليل في نفس الوقت، ولماذا تختلف الإضاءة بين ظهور الشمس في النهار وظهورها في الليل؟.. وهذا يعني أن الشمس نعم هي مصدر ضوء، ولكن ليست وحدها، فهناك النهار وضوءه الذي يجليها، كما أن الليل ليس هو القمر.. فالليل يأتي بالقمر وبدونه... القمر يكسر ظلمة الليل، وكذلك الشمس تزيد من إضاءة النهار... في بداية كل يوم ترى تلك الحقيقة بعينيك.. ذهاب ظلمة الليل ومجيء ضوء النهار قبل شروق الشمس، ثم يحدث شروق الشمس بعد مجيء النهار.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)﴾ [الشمس: ١-٤]

الخامسة عشرة... علم السماء كان يُسمى علم الفلك، لأنه يدرس الأفلاك والأجسام السماوية، ولكن اليوم أُطلق عليه علم الفضاء، ليدل على الفراغ والصدفة، مع العلم أن المادة المظلة التي تمثل الكتلة الأكبر للكون لا يعرف العلماء عنها شيئًا، ومع العلم أن نيوتن وضع مبدأ الأسير الذي يملأ الكون، ومن بعده في ستينيات القرن الماضي وضع العالم بيتر هيجز نظرية بيزون هيجز الذي يملأ الكون ويعطي للمواد كتلتها، وتحدث أينشاين عن موجات الجاذبية والتي أكد عليها علماء الفضاء، والموجات عبارة عن اضطراب في وسط، وهذا دليل على أن السماء ليست فضاءً، بل هي بناء مليء بما نعلم وما لا نعلم.. بناء منظم، وُضع كل شيء فيه لسبب وبمنتهي الدقة، وليس نتاج فوضى وانفجار!

السادسة عشرة... ناسا وأخواتها لم يضيفوا إلى علم الفلك جديدًا، كل ما قاموا به هو نشر أفكار الصدفة واندماجها مع التطور، وإيهام الناس بإمكانية العيش على أفلاك سماوية أخرى، فالأرض نفسها أصبحت مجرد فلك سماوي!! ومن الممكن أن تنتهي الحياة عليها في أي وقت بفعل فلك سماوي آخر، أو غضب الشمس. فحتى مواعيد الكسوف والخسوف كانت مدرجة في جدول علم الفلك البابلي قبل الميلاد، من خلال دورة ساروس، كل ما فعلته ناسا هو تحديد الميعاد بدقة أكبر بعد ٢٠٠٠ عام وأكثر.. مجهود عظيم!!. وننتظر أن تصدق وتنجح رحلات ناسا وتنقلنا خارج الأرض، ولكن قبل كل هذا يجب أن نعطيها الثقة، فالغريب أن نسبة كبيرة من الشعب الأمريكي لا تصدق في رحلات ناسا المزعومة، ولا حتى رحلات القمر. أما عن الأقمار الصناعية فكلها داخل الأرض، وليس لها علاقة بأي شيء خارج الأرض، هي فقط على ارتفاع عالٍ، وكل القوانين التي نشأت عليها كانت قبل ناسا، حتى محطة

الفضاء الدولية المزعومة تبعد عن الأرض ٤٠٠ كم فقط.

"ناسا وكالة أمريكية تابعة للحكومة الأمريكية، أُنشئت عام ١٩٥٨ بطلب من الرئيس الأمريكي أيزنهاور قائد قوات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية!! بغرض التفوق على الاتحاد السوفيتي في الحرب الباردة، وفي الحرب كل شيء مشروع كما يُقال!! فهل تصدق كلام ووعود الحكومة الأمريكية؟! هل الحكومة الأمريكية مساندة للحق أم للباطل؟! لله أم للشيطان؟! للعدل أم للظلم؟! وما يسير على هذه الحكومة يسير على مؤسساتها ووكالاتها.. فانظر ما ترى".

السابعة عشرة.. من الغريب أن معظم الفرضيات العلمية تصيب وتخطئ، وتُؤكد صحتها بالتجربة أكثر من مرة، وفي ظروف مختلفة، وقد يثبت خطؤها وتختفي تمامًا ويظهر عكسها، كما حدث مع الفيزياء القديمة والحديثة، وأينشتاين وعلماء الكم... ولكن مع هذا التغيير المستمر في فرضيات العلم إلا أن هناك فرضيتين لا يُسمح بالمساس بهما أبدًا، برغم عدم إثباتهما بالدليل العلمي، وعدم تماشيهما مع ثوابت العلم، وهما فرضية التطور الدارويني، وفرضية الانفجار العظيم والمجموعة الشمسية.. تُرى لماذا؟.

"كل شيء اكتُشف قبل ناسا من الكواكب وكيفية رؤيتها في السماء وعلم الأبراج والمدارات والنجوم المرتبطة بالمواسم المختلفة على الأرض والشفق والكسوف والخسوف والشهب وغيرها، ولكن كل ما فعلته ناسا وتفعله هو التلاعب بعقول البشر من خلال الصور التي تثير الإعجاب والاندهاش، حتى التوقع بوجود الثقوب السوداء وموجات الجاذبية كان من قبل ناسا أيضًا"

النقطة الثامنة عشرة... هل الأرض بالصغر والضآلة التي توصف بها؟ عمليًّا هناك

أجزاء كبيرة جدًّا من الأرض لم تُكتشف بعد، بل وهناك أجزاء اكتُشفت حديثًا، كالقارة القطبية الجنوبية، ولم تُكتشف بكاملها إلى الآن.. وهناك أجزاء وأعماق كبيرة جدًّا من المحيطات لم تُكتشف، ولا أعرف كيف استطاعوا الخروج من الأرض بكاملها رغم كل الصعوبات، ولا يستطيعون الغوص في أعماق المحيط لاكتشافه، رغم أن أعمق نقطة أو المفترض أنها الأعمق في خندق مريانا عمقها يصل إلى ١١,٠٣ كم فقط، مسافة لا تُذكر في ظروف صعبة مقارنة بالمسافات في الفضاء، والتي تكون في ظروف أصعب وأكثر غموضًا... منذ اكتشاف القارة القطبية الجنوبية وهناك ستار يحاوطها، اكتمل باتفاقية عام ١٩٥٩، والتي دخلت حيز التنفيذ عام ١٩٦١، ووقَّعت عليها في البداية ١٢ دولة، ثم بلغ عددهم اليوم ٥٤ دولة.. اتفاقية حددت أن القطب الجنوبي يبدأ بعد خط عرض ٦٠.. ويجب أن تعلم أن من بنود تلك الاتفاقية أن تُستخدم تلك القارة لأغراض سلمية فقط!! ولا توجد دولة عربية واحدة في هذه الاتفاقية، ولا أعلم لمَ توجد اتفاقية بهذا الشكل على جزء من الأرض الصغيرة جعلت حتى السفر لتلك القارة مقيدًا جدًّا، ومن خلال الدول الداخلة في الاتفاقية، ولأماكن محددة في القارة!!

كان هناك رحلة للمستكشفين: الكابتن كوك وجيمس كلارك للإبحار حول القطب الجنوبي (قبل أن يتم الإعلان عن اكتشافه رسميًّا)، وأخذت الرحلة من ٣ إلى ٤ سنوات، قطعوا خلالها من ٥٠ إلى ٦٠ ألف ميل! وهذه المسافة أكبر من محيط الأرض عند خط الاستواء... وأيضًا القطب الشمالي لا يظهر على خرائط جوجل إلا كقطعة داكنة وأكثر زرقة من المحيط، ويُدرس على أنه الدائرة الجليدية في أعلى الأرض.. وهناك عالم خرائط كبير يُدعى ماركتور، والذي تُستخدم إسقطاته في غالبية خرائط

اليوم، لأنها تظهر روسيا وأمريكا أكبر من إفريقيا والشرق الأوسط.. هذا العالم رسم خريطة للقطب الشمالي في القرن السادس عشر على أنه عبارة عن أربع جزر تقسمهم الأنهار، وفي وسط الأربع جزر جبل عملاق، وهذه الخريطة اتفقت مع خرائط أخرى صينية وعربية!! فلمَ لمْ يُؤخذ بخرائط ماركتور في هذا الشأن!

كُتب في عام ٢٠٠٦ كتاب للمؤلفين فورت وريتشارد أورم بعنوان viking Empires قيل فيه أن سبب اختفاء الفايكنج المفاجئ هو اكتشافهم للقطب الشمالي. وكعرب لا يجب أن نغفل عن كتب وخرائط صناع الجغرافيا الحديثة -علماء المسلمين-، فمثلا كتاب الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الآفاق وحديثه عن الأقاليم السبعة وجزر وأراضٍ لا نسمع عنها شيئًا اليوم.. الإدريسي الذي يعتبره الغرب من مؤسسي علم الجغرافيا الحديثة... وكذلك ابن حوقل وكتابه صورة الأرض، الذي اعتبر مرجعًا أصوليًّا للأرض وجغرافيتها في هولندا عام ١٨٧٣، وأحمد محي الدين بيري، مكتشف أمريكا الحقيقي، الذي اعتمد كولومبس على نسخ من خرائطه للوصول لأمريكا، والذي كان لديه خرائط كثيرة لعالمنا «محي» منها أراضٍ كثيرة!! فالأرض ليست كما يريدون أن يرسموها لك على أنها نقطة صغيرة في الفضاء اللا متناهي.

يَا عِبَادِيَ الذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ(٥٦) العنكبوت

(هل تعلم أن ناسا أعربت عن دهشتها من انضمام ما يقارب من ٢٠٠ شخص كل عام إلى جمعية الأرض المسطحة، (مع اختلافي مع هذا المصطلح ونظرته للكون)؟! هل عمرك سمعت مثلًا عن جمعية الذرة المصمتة؟! طبعًا لا، لأن العلم الحقيقي المثبَت بالتجربة والدليل لا يُعارَض لا سرًّا ولا علانية)

ولتأكيد أن كل ما سمعته في حياتك عن المجموعة الشمسية ما هو إلا مجرد

افتراضات، ولا يوجد أي إثبات علمي واحد مؤكد عليه، سأذكر لك ما قاله العالم ستيفن هُكنج والعالم ليونارد ملودينو في كتاب

the grand design

"إذًا أيهما حقيقي، نظام بطليموس أم نظام كوبرنيكوس؟ على الرغم من أنه من مألوف للناس أن يقولوا أن كوبرنيكوس أثبت خطأ بطليموس، إلا أن هذا ليس صحيحًا، يمكن للمرء أن يستخدم أيًّا من الصورتين كنموذج للكون، فملاحظاتنا للسماء يمكن تفسيرها بافتراض إما أن الأرض أو الشمس في حالة سكون، أما الميزة الحقيقية لنظام كوبرنيكوس هو ببساطة أن معادلات الحركة أبسط بكثير في الإطار المرجعي الذي تكون فيه الشمس ساكنة"

وكذلك مع عالم الرياضيات والفلك جورج أليس في كتاب the large scale structure of space time

"الناس بحاجة إلى أن تدرك أن هناك مجموعة من النماذج التي يمكن أن تفسر المشاهدات، على سبيل المثال يمكن أن أبني لك كونًا متناظرًا كرويًّا مع الأرض في مركزه، ولا يمكنك دحضه بناء على المشاهدات.. في رأيي لا يوجد أي خطأ على الإطلاق في ذلك، يمكننا فقط استبعاده على أسس فلسفية.. ما أريد أن أوضحه إلى العلن هو حقيقة أننا نستخدم المعايير الفلسفية في اختيار نماذجنا الكثير من علماء الكونيات يحاول إخفاء ذلك"

ونفس الكلام تقريبًا قاله أينشتاين، وناقش الحيرة والهوى بين نظام كوبرنيكوس وبطليموس في كتاب the evolution of physics

وكذلك العالم البريطاني بيرتراند رُسيل الحائز على جائزة نوبل عام ١٩٥٠ في كتاب the ABC of relativity

"علم الفلك يكون أسهل إذا اعتبرنا الشمس ثابتة مما أن جعلنا الأرض، تمامًا كما تكون الحسابات أسهل في العملات العشرية، لكن الميل أكثر لكبرنيكوس هو افتراض للحركة المطلقة، وهو خيال كل الحركات النسبية، وهي مجرد اختيار لأخذ جرم واحد ثابت، جميع هذه الاختيارات مقبولة على قدم المساواة، وإن لم تكن كلها مريحة بنفس القدر"

طبعًا هذا لا يُقال في المحافل الدولية، وهم يعرفون جيدًا عدد القراء في العالم. الأمر مجرد إرضاء لكِبر زُرع وينمو في قلوب البشر، يمنعهم من الاعتراف بعدم معرفة كل شيء وإدراك كل شيء، وأن هناك خالقًا عليمًا.. يتبع الكبر الذي خُلق من النار، ولا يرى أفضل من النار.

﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]

قد يقول قائل أن هذه النشأة للكون حدثت بصورة مخالفة لبعض ثوابت العلم.. بأمر من الله أقول له:

أولًا: إن الله لا يغير سننه في خلقه، فلن تجد لسنة الله تبديلًا، وثانيًا الخالق الذي يقول للشيء كن فيكون لا يحتاج لانفجار ولا لتصادم ولا انهيار ولا تبريد ولا وقت لبناء كونه وأنظمته، فالخالق أخبرنا على سبيل المثال أنه قبل خلق السماوات والأرض كان عرشه على الماء، وفرضية ناسا والانفجار تقول أن الماء وُجِدَ بعد الانفجار بعد تكوين ذرة الهيدروجين ثم بقية الذرات، فتكوَّن الماء من اندماج ذرتين

هيدروجين مع ذرة أوكسجين، فكيف يتماشى هذا مع كلام الله!! ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- "إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء"، وقال تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ **[هود: ٧]**

فالفرضية المزعومة تتحدث عن انفجار تناثر على أثره ذرات ومجرات ونجوم وكواكب وغيرها في فضاء، ومن هذه الكواكب كوكب لا أعلم لماذا سُمي الأرض! سمحت الصدفة بوجود الحياة عليه!! فماذا عن بقية السماوات السبع والأرضين السبع التي أخبرنا عنها الله، وأنها كلها خُلقت في نفس الوقت الذي حدده الله بستة أيام! الله -تعالى- يريد منك أن ترى قدرته في خلقه، ويريد منك أن تعرف مدى تكريمه لك من خلال تسخير خلقه لك.. نحن لن نعرف كل شيء عن كيفية خلقنا وخلق عالمنا، لأن إدراكنا محدود، ولكن دائمًا هناك أمارات من الله عن كيف خلق كونه بأمره وعلمه، نستطيع رؤيتها وفهمها.

قال تعالى ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ**﴾ **[يونس: ٣٩]**

ودعنا نرى بعض هذه الأمارات التي دلنا الله -تعالى- عليها:

الصورة التي أخبرنا الخالق بها عن نشأة الأرض مختلفة قليلا!! أخبرنا الله -تعالى- أنه قبل خلق السماوات والأرض كان لا يوجد سوى عرش الرحمن والماء، **"وكان عرشه على الماء" ٧ سورة هود**، ثم خلق الله السماء والأرض في وقت واحد

أَوَلَمْ يَرَ الذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ (٣٠) سورة الأنبياء

وهذا يعني أن السماء والأرض منفصلين تماما عن بعضهما البعض كقطعة قماش تفتق فينتج عنها جزئين منفصلين تماما عن بعضهما ولا يحوي جزء منهما الآخر.. ولذلك يذكر الله دائمًا السماوات مع الأرض، لأن كلًّا منهما مستقل تمامًا عن الآخر

وَهُوَ الذِي فِي السَّمَاء إِلَه وَفِي الأَرْضِ إِلَه وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ(٨٤) الزخرف

ففي كل المواضع التي ذُكرت فيها السماوات والأرض في القرآن الكريم يتضح الاختلاف والانفصال بينهما وبين ما يحوون، ووجود فاصل بينهما.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة: ٤]

﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ١]

لو كانت الأرض كوكبًا في السماء فهذا يعني أنه ليس هناك أرض، بل كوكب من كواكب السماء وجُد عليه حياة (ومن هنا جاءت أوهام وفرضيات احتمالية وجود حياة على كواكب أخرى وترك كوكب الأرض)، وهذ يختلف كليًّا عمَّا ذكره الله في كتابه عن خلق الأرض والسماوات.

بعد الفتق الذي نتج عنه خلق الأرض والسماء، كانت الأرض خالية من كل شيء ميتة، وكانت السماء دُخانًا.

وقبل أن يخلق الله أي شيء في السماء أو الأرض، وقبل تقسيم السماء إلى سبع سماوات، خلق الله الليل والنهار كمعيار ومقياس لوقت وزمن كل شيء ستحويه السماء أو الأرض، فالله لم يخلق شيئًا عبثا.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢]

الحَمْدُ لله الذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ(١) سورة الأنعام

﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢)﴾ [النازعات: ٢٧-٣٢]

والله -تعالى- وحده هو من يقدر أوقات الليل والنهار، وهو من يقلبهم في حركة مستقلة عن الشمس والقمر اللذين خُلقا بعد الليل والنهار.

وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ(٢٠) سورة المزمل

قال تعالى ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤]

قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]

فكل من الليل والنهار والشمس والقمر له حركته في الفلك.

قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]

وهذا يعني أن القمر والشمس وُجدوا بمجرد خلق السماوات والأرض، وقبل كل شيء (باستثناء الليل والنهار) لتحديد الزمن..

فالقمر هو المسؤول عن السنة الهجرية التي يحسب بها الله زمن كونه، فالأشهر الحرم أربعة أشهر من أشهر السنة القمرية الهجرية.

بعد خلق الليل والنهار والشمس والقمر، وكانت السماء عبارة عن سمك من الدخان، بدأ العمل على الأرض، فأرسى الله فيها الجبال لحمايتها وثباتها، وأنزل فيها أقواتها وأرزاقها، وأنزل من السماء ماء أحيا به الأرض، وسلك له ينابيع في الأرض، وأخرج الزرع، ثم قضى -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- أن تكون السماء سبع سماوات، وجعل في كل سماء أمرها، وجعل في السماء الدنيا التي هي أقرب للأرض مصابيح، وزينها وحفظها، وكانت هذه المصابيح هي النجوم والكواكب، كي تهدي الناس في ظلمات الليل، أي إن النجوم جاءت بعد خلق الأرض، وبعد خلق الليل والنهار والشمس والقمر، وهي في السماء الدنيا، وكذلك الكواكب التي جاءت أيضًا بعد الأرض في السماء الدنيا، فكيف تكون الأرض مجرد كوكب؟!!

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)﴾ [فصلت: ٩-١١]

(تذكر عندما قلنا أن استيف هوكنج فضَّل استخدام لفظ دخان فضائي عن غبار فضائي)

(ولاحظ أن الله -تعالى- ذكر لفظ دخان على السماء فقط، والتي خُلق فيها النجوم والكواكب)

إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ(٦) الصافات

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَ أَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾ [عبس: ٢٤-٣٢]

فالمياه لم تتواجد على الأرض صدفة، بل بأمر ممن خلقها وأحياها، والمياه ليست على الأرض بصورة ذاتية، بل نزلت من السماء.

فالأرض تحتوي على أعظم مياه، مياه الجنة، وهذا ما أخبرنا به الرسول الكريم -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- في صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ-: "رُفعت إلى السدرة، فإذا أربعة أنهار، نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأما الظاهران فالنيل والفرات، وأما الباطنان فنهران في الجنة"، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ-: "سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة"..

هل علمت الآن لماذا يحاول المطرود من الجنة ونعيم الله أن يقلل من شأن الأرض التي خُلقت منها، لأنك مُنِحت ما حُرِم هو منه.

بالعودة إلى الحديث عن الشمس والقمر.. خلق الله الشمس والقمر من أجل زيادة ضوء النهار، وإنارة ظلمة الليل، ومعرفة عدد حساب السنين والشهور والفصول

الأربعة. فالفصول مسؤول عنها الشمس، وشهور السنة المسؤول عنها القمر.. فالقمر مسؤول عن تحديد الشهر في السنة، والشمس مسؤولة أيضًا عن التوقيت اليومي كأوقات الصلاة، فمثلا القمر مسؤول عن تحديد ميعاد وبداية شهر رمضان، والشمس مسؤولة عن تحديد ميعاد الإفطار لذلك قال الله -تعالى- ﴿**لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ**﴾ **[يس: ٤٠]** بالضبط كما نبدأ يومنا بالنهار ثم الليل.

﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ **[يونس: ٥]**

قال تعالى ﴿**وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا**﴾ **[النبأ: ١٣]**

فالشمس هي المسؤولة عن اختلاف الحرارة على الأرض من خلال قربها أو بعدها عن الأرض.

(معنى كلمة سراج أي مصباح، هل يُعقل أن يكون المصباح أكبر من الغرفة التي يضيئها! هل رأيت شيئًا كهذا من قبل!!)

والشمس والقمر خلق غير الليل والنهار كما قلنا، فالقمر نور، والليل ظلام، والنهار انقشاع الظلام، والشمس السراج الحراري قوي الإضاءة.

﴿**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢)**﴾ **[الفرقان: ٦١-٦٢]**

يوضح لنا الله -تعالى- من خلال هذه الآيات أن الليل والنهار متعاكسين في أوقاتهما، لأنه لا يجوز حدوث إظلام (الليل) وانقشاع الظلام (النهار) في نفس الوقت، فلا تستطيع أن تقول أن الوقت ليل ونهار في نفس اللحظة، ولكن هذا لا ينطبق على

الشمس والقمر، فمن الممكن أن ترى الشمس والقمر فوقك في السماء في نفس الوقت، وظاهرة شمس منتصف الليل أقوى دليل على أن الشمس ليست النهار، فهي تظهر في الليل في ظروف خاصة، وتقلل من ظلمة الليل، ولكن لا يتحول لنهار كما قلنا سابقًا، لأنها شمس في الليل وليست في النهار.

ولذلك يذكر الله الليل والنهار والشمس والقمر دائمًا في كتابه كآيات مختلفة خلقها الصانع لعباه.

قال تعالى ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ **[فصلت: ٣٧]**

وقال تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ **[الأنبياء: ٣٣]**

وقال تعالى ﴿**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ **[فاطر: ١٣]**

وأوضح لنا الله -تعالى- أن النجوم والكواكب زينة وعلامات هداية في ظلمة السماء الدنيا قال تعالى ﴿**وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ **[النحل: ١٦]**

أما الشمس والقمر فهما ليسا مفاعلًا نوويًّا يحترق في الفضاء، ولا صخرة ناتجة عن تصادم عشوائي!!

﴿**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)**﴾ **[نوح: ١٥-١٦]**

فالله -تعالى- يقر أن نور القمر وضياء الشمس في السماوات السبع، ولذلك قال تعالى فيهن، ولم يحدد السماء الدنيا فقط كما ذكر مع الكواكب والنجوم:

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾ [يس: ٣٧-٤٠]

وهذا المستقر للشمس شرحه الرسول الكريم -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- للصحابي أبي ذر عندما قال له الرسول الكريم -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- «يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ قال الله ورسوله أعلم، قال -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) صدق رسول الله -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- في صحيح البخاري.

فلا الشمس تدور حول الأرض، ولا الأرض تدور حولها، فالشمس في السماء والأرض قرار بالأسفل.

وملأ الله -تعالى- السماء بالحرس لحمايته من الشياطين، وكان هذا الحرس هو الشهب قال تعالى ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠] وقال تعالى ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨] قال تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [البقرة: ٢٢]

وكأي مبني له طرقه وطوابقه وسلم للصعود، فكذلك السماوات، كما أشار الله لنا بأن الصعود في السماء يكون من خلال معارج وطرق، وليس من أي نقطة، فأنت لا تستطيع صعود مبنى إلا من خلال أبوابه وأدراجه، وليس من خلال أي مكان آخر فيه.. قال تعالى ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]

والقرآن الكريم شرح لنا معنى العرج والمعارج في سورة الزخرف بأنها الدرجات أو السلم الذي يصعد عليه الإنسان إلى الأدوار الأعلى، حيث قال تعالى ﴿**وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ**﴾ [الزخرف: ٣٣]، الدرج أو السلم لا يكون عموديًّا أبدًا على الأرض، بل يجب أن يكون هناك نسبة ميلان أو دوران، وهذا هو العرج.

أما عن أبواب السماء فأخبرنا الله -تعالى- عنها حين قال ﴿**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ**﴾ **[القمر: ١١]**

وقال تعالى ﴿**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ**﴾ **[الحجر: ١٤]**

ومن أجل المحافظة على هذا البناء خلق الله الجواري الكنس، قال تعالى ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦)**﴾ **[التكوير: ١٥-١٦]**

والتي قد تكون هي الثقوب السوداء.

وكأي مبني له سكانه، فالسماء تحتوي على النجوم والكواكب، وكذلك الدواب والمخلوقات خلقها الله لعلة وسبب.

قال تعالى ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**﴾ **[الشورى: ٢٩]**

فالله -تعالى- بث دوابَّ في السماء كما في الأرض، ولذلك قال تعالى (وما بث فيهما من دابة) ولكننا لا نعرف ماهية هذه المخلوقات، فالله يخلق ما لا نعلم.

قال تعالى (ويخلق ما لا تعلمون)

كما كرم الله آدم أبا البشر بسجود الملائكة له، فهو يكرم عباده الموحدين بالطواف حول بيته في الأرض (الكعبة المشرفة)، الذي يتعامد عليه بيته في السماء (البيت

المعمور)، الذي يطوف حوله الملائكة المكرمون تحت عرش الرحمن... قال رسول الله -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- أخرج الطبري عن قتادة قوله "ذكر لنا رسول الله -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- البيت المعمور مسجدًا في السماء بحذاء الكعبة، لو خر لخر عليها"..

قال تعالى ﴿**وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ(٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥)**﴾ **[الطور: ٤-٥]**

فأنت لست على كرة زرقاء جاءت بالصدفة وتتحرك بالصدفة تبعًا للنار، بل أنت في أرض قرار، خلقها الله -تعالى- بأمره، وألقى فيها رواسي (الجبال)، كي لا تميل، ليس هذا وحسب، فكما قضى الله بناء السماء أن يكون من سبعة طوابق أو سبع سماوات، قضى مثلها في الأرض سبع أراضٍ، ولا أعلم أين هم بالنسبة لمجسم الفضاء اللا متناهي والكرة الزرقاء!! فالأمر ليس مجرد جوف الأرض الذي يرفض العلم أن يكون فيه حياة أصلًا في عمقه بسبب الحرارة الشديدة (فلا يوجد تحت الأرض إلا الموتى).. الأمر سبع أراضٍ، وليس أرضًا مجوفة أو مصمتة.

اللهُ الذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌوَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا(١٢) سورة الطلاق

لم يذكر الله -تعالى- الأرض إلا بلفظ مفرد «أرض»، رغم أنه أخبرنا -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- أنها سبع أراضي كالسماء التي يذكرها الله -تعالى- بصيغة الجمع كثيرًا في كتابه الكريم، وهذا بسبب أن السماوات بعضها فوق بعض كالأرفف والطوابق، أما الأرض فهي أرض واحدة قرار، قسمها الله -تعالى- إلى سبع أراضٍ (كالأرض الزراعية تراها أمامك أرضًا واحدة، ولكنها مقسمة لمزارعين مختلفين)، وهذا ما يؤيده كلام علماء الجغرافيا العرب المسلمين.

أخشى أن تراني صغير العقل ضيق الأفق، وتنتظر أن أحدثك عن العصفورة التي شغل بها إبليس عقول البشر الفارغة إلا من رحم ربي، عصفورة الأرض كروية أم مسطحة؟! تدور حول الشمس أم الشمس تدور حولها؟!! كي يشغل الناس عن أكاذيب وكالاته الأخطر.. لا يجوز لنا أن نقول لفظ «مسطح» على عالم بني آدم، لأن معنى «مسطح» أنه لا يحوي إلا طولًا وعرضًا فقط، وعالمنا كما ترى ثلاثي الأبعاد، فلا يجوز أن نقول على عالمنا وأرضنا مسطحة.. ثانيًا نحن لم ندرك الأرض كلها كي نستطيع أن ندرك شكلها ووصفها، ولكن كلام العليم الصانع يشير إلى أن الأرض دائرية، وليست الأرض وحدها، بل السماء أيضًا، ومعنى الدائري في عالم ثلاثي الأبعاد هي الكرة أو نصف الكرة

﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣]

فالأقطار لا تكون إلا للدائرة أو النصف دائرة، أي كرة أو أشبه بالكرة أو نصف كرة في عالم ثلاثي الأبعاد، وليس سطحيًّا ثنائي الأبعاد!

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢)﴾ [النازعات: ٣٠-٣٢] . والدحي هي بيض النعام، أو الحفرة التي يحفرها النعام ليضع فيها بيضه، والاثنان ليسا مسطحين، بل دائريين، أو نصف دائرة، أو أشبه بالدائرة.

وقوله «كل في فلك يسبحون».. الفلك يعني الاستدارة وكذلك قوله تعالى (ألم نجعل الأرض كفاتًا ٢٥ سورة المرسلات) وكفاتًا تعني الوعاء، والوعاء لا يكون أبدًا مسطحًا. أما عن قوله تعالى (الأرض كيف سطحت) وقوله (وجعلنا الأرض بساطًا) فهذا -والله

أعلم- دليل على قدرة الله -تعالى- في بسط الأرض لعباده وتسخيره لها كي يحيوا فيها على غير طبيعتها.

ولكن لا يعني هذا أن الأرض كوكب في السماء الأولى، فالكواكب ما هي إلا زينة ومصابيح هداية في السماء الدنيا، وخُلقت بعد خلق الأرض...

قال تعالى (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ١٧ سورة المؤمنون) وقال تعالى أيضًا (وبنينا فوقكم سبعًا شدادًا ١٢ سورة النبأ)، بعملية حسابية بسيطة نستنتج أن الأرض لا يجوز أن تكون كوكبًا في السماء الأولى، لأنه إذا كانت الأرض كوكبًا والله -تعالى- أخبرنا أن الكواكب في السماء الأولى (السماء الدنيا)، فهذا يعني أننا في السماء الأولى كبقية الكواكب، إذًا فلن يتبقى من السماوات إلا ست سماوات فقط، فسيكون فوق الأرض أي فوقنا ست سماوات فقط، وليس سبعًا، وهذا ما لم يذكره الله -تعالى-.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

ما الإضافة التي سيضيفها عرض كوكب أزرق صغير لعرض السماوات؟!!

الله -تعالى- في كتابه العزيز لا يتحدث بعين البشر، بل بعين الحق.. ولو كان يتحدث بعين البشر ألم يكن يعلم أن البشر يومًا سيعرفون عرض الأرض الضئيل جدًّا مقارنة بالسماء وصغرها في جوف السماء!!

قال تعالى **﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥]**

وتعبير تقع يوضح ويشرح كون الأرض قرارًا في الأسفل، والسماء بناء وسقف في الأعلى.

فالسماء أعلى الأرض فقط، وليست أعلى وأسفل الأرض، قال تعالى:

﴿ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴾ [طه: ٤]

وتذكر أن الله لا يتحدث إلا بعين الحقيقة، لا بعين البشر.

من المضحك أن كل الكواكب التي تُسمى بكواكب المجموعة الشمسية، والتي تم اكتشاف معظمها منذ القدم، تُسمى كلها بأسماء آلهة من حضارات قديمة، إلا الأرض التي تُسمى منذ البداية بالأرض، رغم أنها كما يقولون تُعد كوكبًا صخريًّا كالمريخ وعطارد والزهرة، أي إن هذه الكواكب -على حد قولهم- تمتلك أرضًا نستطيع الوقوف عليها، فهي كواكب صخرية، ولكنها لا تمتلك حياة، فلماذا لم يُسمَّ ذلك الكوكب كوكب الحياة مثلًا، أو كوكب المياه، أو الكوكب الأزرق، لماذا لم يُسمَّ بالشيء الذي يميزه، فهناك أرض صلبة على كواكب أخرى على حد قولهم!!

وبقي الاعتراض التقليدي هل كل هذه الأموال التي تصرفها ناسا وأخواتها من أجل خداع العالم فقط!!؟

الإجابة تشمل جزئين:

الجزء الأول.. لا يوجد كذبة أو خدعة مبنية على الوهم تمامًا، فليس كل ما تقوله ناسا عن علم الفلك كذبًا، فكما قلنا هناك الكثير من علوم الفلك تم الوصول إليها قبل ناسا.. ناسا من خلال التقدم العلمي أضافت دقة التأكد منها. أما بخصوص أكاذيب ناسا من تحويل بناء السماء لفضاء شاسع من نسيج زمكاني، وأجسام تكونت من الفوضى والانفجار، واحتمال نهاية الحياة على كوكب الأرض، وبدء البحث عن كوكب بديل للبشر بعد انتهاء الحياة على الكوكب الأزرق!! لحظة هل هذا ممكن؟! أقر الله -تعالى- لنا في كتابه الكريم أن آدم وأبناءه سيحيون ويموتون ويبعثون في

الأرض وعلى الأرض ومن الأرض.. فمن أصدق برأيك؟ قال تعالى ﴿**قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥)**﴾ **[الأعراف: ٢٤-٢٥]**

(وهل نجحت رحلات ناسا؟! إذا كان كلامي ذا قيمة عندك تذكره.. ناسا لم ولن تنجح.. ناسا لا تسعى للنجاح، فهي تعرف أنه مستحيل.. ناسا تريد أن يملك الوهم قلبك فتسقط!!)

كل هذا يُصرف عليه المليارات من أجل إضلال الناس عن وحدانية وقدرة الخالق وصدق كتابه الكريم وتكريمه للإنسان وخلافته على الأرض، (كما صرفت الحكومة الأمريكية المليارات على الحرب في أفغانستان والعراق، ولا زالت تصرف على أسلحة الدمار الشامل بمختلف أنواعها من أجل إشعال الحروب ونشر الفتن) وهذا ليس استنتاجًا، لأن الله أخبرنا بهذا:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ**﴾ **[الأنفال: ٣٦]**

وهذا ليس بغريب، لأن تلك الأموال التي ينفقونها ليست أموالهم وحدهم، بل يشاركهم فيها من أضلهم وأضل نفسه وسقط!!

﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ **[الإسراء: ٦٤]**

فلا تتعجب من صرف المليارات من أجل تزييف أصل الإنسان والأرض، فالشريك بالنسبة الأكبر من المال وصاحب حق الإدارة ليس لديه سوى مشروع واحد يصرف فيه الأموال، وهو إضلال البشر عن الحق.

هل تعلم لماذا يتركهم الله ينفقون تلك الأموال في محاولات إضلال الناس؟! الإجابة تأتي في الآية التي تليها ﴿**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ **[الأنفال: ٣٧]**

فكل هذا ليس أكثر من مجرد اختبار للقلوب.

قال تعالى ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾ **[العنكبوت: ٢]**

خطوة تغيير خلق الله تُعد من أهم وأخطر الخطوات التي اتخذها إبليس مع أتباعه في رحلة عدائه للإنسان ومحاولة إضلاله، وستدرك هذا بسهولة إذا تحدثت مع أي شخص مُنكر لوجود الله، ستجد أن الحجرين الأساسيين اللذين بني ويبني عليهما أفكاره وظنه هما مجيء الكون من انفجار من عدم، وصدفة بداية الحياة على كوكب الأرض الصغير، واحتمالية وجودها على كواكب أخرى، والصدفة الجينية التي طورت الحياة على الأرض من كائن أحادي الخلية لإنسان عاقل مفكر.

ولقد حذرنا الله -تعالى- من خطورة محاولة إبليس وشياطينه من الجن والإنس من إضلال الناس في كيفية خلق الله لكونه وإنسه وجنه، قال تعالى ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾ **[العنكبوت: ٢]**

وأخبرنا الله -تعالى- في كتابه العزيز ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾ **[الأنعام: ١٢١]**

(العلماء مثل غيرهم من البشر مندفعون لأغراض شخصية، متأثرون بحاجة الجماعة التي ينتسبون إليها) عالم الاجتماع موربرت أليس.

عدم شكر الله

علينا أن نعرف في البداية أن هناك فرقًا كبيرًا بين الحمد والشكر.. فالحمد هو قول الحمد لله، بينما الشكر هو العمل بأوامر الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- والبعد عن نواهيه تقديرًا لنعمه وفضله... فالشكر فعل، أما الحمد فهو قول.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]

فنحن مطالبون أن نحمد لله تعالى على نعمه وفضله قولا، ونشكره فعلًا.

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]

تلك النقطة تحديدًا هي التي يستدرج من خلالها الشيطان الإنسان لإيقاعه في شباكه.. فلا يستطيع الشيطان أبدًا أن يملك من اختار أن يكون عبدًا شاكرًا لله، ولكن يملك من يرفض عبودية الله -تعالى- وشكره على نعمه، وفي هذه اللحظة يكون قد وقع الإنسان في شبكة الشيطان!

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾ [النحل: ٩٩-١٠٠]

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ

جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ(١٧)﴾ [سبأ: ١٥-١٧]

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١)﴾ [سبأ: ٢٠-٢١]

عدم شكر الله -تعالى- هو ما أوصلنا إلى كل ما نحن فيه ونعاني منه.. فبفضل الله -تعالى- توحد العرب الذين كانوا لا يقاتلون إلا بعضهم، وبعد أن كانوا أذل قوم قادوا العالم كله للنور بعد أن أكرمهم الله بنوره، وعندما أعرض العرب عن شكر الله على فضله رجع الوضع كما كان تفرقة وذلًّا.

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]

فنعم الله وفضله وكرمه تستمر بالشكر وتنقطع بالجحود والنكران... هكذا كانت، وهكذا ستظل بأمر الله، فعندما شكر عباد الله المخلصون ربهم، زادهم الله من فضله، ولم يقدر عليهم لا شياطين الجن ولا شياطين الإنس

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]

وعندما نسي من بعدهم شكر الله القدير المُنعم نساهم الله، فأمكن منهم شياطين الإنس والجن صغيرهم وكبيرهم... وهذا ما فعله ويفعله الشيطان، يُنسيك الله،

ويُقلل من فضله عليك... (لذلك يحاول إرجاع كل شيء إلى الصدفة والمادة كي تنسى فضل الله عليك وقدرته في تسخير الكون لك، فلا تشكره فينساك الله ويتمكن هو منك)

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]

ومن استمر في شكر الله وعبادته واتباع أوامره والبعد عن نواهيه، لم يُذل، وظل اسمه وأثره باقيًا كدليل على أن كل من يكون عبدًا لله وحده، فلا يقدر عليه أحد.

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]

إذًا فالشيطان ليس له على أحد سلطان إلا من يتخلى عن عبادة وشكر الله. فالشيطان ضغيف، وحقده أضعف، ولا يقدر الضعيف إلا على الأضعف منه، وهذا ما يفعله الإنسان عندما يتوقف عن شكر ربه على نعمه وطاعته ولا يتوكل عليه ويتوكل على نفسه.. هنا يتمكن منه الشيطان، فالاثنان أصبحا مطرودين من رحمة الله، فأصبحت الغلبة والقوة للمارد.

قال رسول الله -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ-: «يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشي فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم.. ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم».. صدق رسول الله -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ-.

"إذا كتبت الآلاف من الأوراق في هذه النقطة فلن أستطيع وصف الصورة كاملة وبدقة كما وصفها سيد الخلق -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- منذ ألف وأربعمئة عام"

عشرات الكتب ومئات الفيديوهات على اليوتيوب تتحدث عن المؤامرات التي تُحاك بنا من عقول شيطانية جبارة، تسعى للسيطرة على كل شيء وتنصيب الملك، ولكن الحقيقة هي أن تلك العقول هي أغبى وأضعف العقول، لأنها أغلقت باب الله أمامها منذ زمن بعيد، وأنت يا من تعتقد أنك مجرد شخص عادي من العوام قليلي الحيلة، أنت أكثر أهمية وقيمة وقوة عند سيدهم منهم؛ فسيدهم المطرود لا يهمه أرض ولا ذهب ولا بترول ولا كل هذا الهراء، فهو يعرف أن كل هذا تراب لا يساوي شيئًا مقارنة بنعيم السماء التي صرخ أعظم صرخة صرخها مخلوق عندما لُعن وطُرد منها.

هو لا يهمه إلا قلب بني آدم، لذلك أنت الأهم بالنسبة له، فأما عن أتباعه فهو مَلك قلوبهم منذ زمن بعيد، ويعرف المصير الأسود الذي ينتظرهم جميعًا.

فكل ما يحدث حولك من ظلم وأوبئة واغتصاب أرض وعرض وغلاء وصراع على المال وفتن وقتل.. كل هذا من فعل أيدينا لا أحد آخر، وكل ما فعله الشيطان هو أن دلك على طريق الجحود، فأعطيت ظهرك لطريق الشكر، واستمريت في الجحود.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]

أما عن أتباعه فهم حتى لا يمتلكون نعمة التفكير، فلو كانوا يملكونها لما أصبحوا أنعامًا عند الشيطان.. هم أضعف بكثير من أن يظهروا حتى ما يؤمنون به أمامك كما

تفعل أنت، ولا عادوا يملكون الاختيار مثلك.. هم دائمًا في الظلام، وكالذباب لا يخرجون إلا إذا ألقيت القمامة، فعندما نجحد بنعم الله وفضله علينا تظهر القمامة ويظهر الذباب، وكلما زادت القمامة يزداد الذباب.

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]

و ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣]

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]

فلا يُعجبك أبدًا من يسير في طريق الجحود، فهو لا يملك حتى نفسه، فهو عبد ذليل لعبد مطرود من رحمة الله.. أنت تملك ما لا يملكه، وترجو من الله ما لا يرجوه، واعلم أن سيده المطرود الذي استحقره واستعبده من زمن بعيد ينظر إليك بكل حقد

وحسد وكره، لأنك عبد الله، ترجو رحمته وتشكره على نعمه وفضله، بينما هو لا يملك هذا، ويعرف مصيره المحتوم الذي يسعى لجعلك شريكًا له في هذا المصير الأسود الذي رُسم بالجحود وعدم شكر الله..

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤]

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦]

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]

فخطر الشيطان الحقيقي في أن يجعلنا ننسى فضل الله وقدرته، فلا نحمده ونشكره. فتذكَّر دائمًا ولا تنسَ كي لا يخدعك الشيطان ويتمكن منك.. تذكر أن القوة والسلطة والرزق والفرج كله بيد الله، وهو وحده من يستحق الحمد والشكر.

وضرب لنا الله مثلًا على هذا في قصة سيدنا يوسف -عليه السلام-، عندما سأل غير الله وأنساه الشيطان ذكر ربه، فأبقاه الله في السجن بضع سنين، لأن لا أحد يملك مصيره إلا الله.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]

وشكر الله -تعالى- يكون في الضراء قبل السراء، وفي الشدة قبل الرخاء، فأي بلاء ينزل

على من آمن بالله الواحد هو رحمة له وإسقاط من ذنوبه إذا صبر ورضي، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، أما عندما يتبع الإنسان خطوات الشيطان، ويرفض قضاء الله، ويجزع ويعترض كما يريد منه الشيطان، فهذا لا يغير شيئًا، ولا يفيد بشيء، والغريب أن الجزع والرفض يزيد من وقت وحدَّة البلاء، فلا يُرفَع بلاء إلا بعد الرضا به.

ففي حالة عدم الصبر والشكر والرضا بقضاء الله تكون خسارة الإنسان مزدوجة في الدنيا بالعيش جزعًا وحزنًا بسبب البلاء الذي لم يرضَ به، وفي الآخرة بسبب اعتراضه على خالقه، فيصبح كإبليس الذي لم يشكر وكان يريد كل شيء على هواه فسقط، فعرف ما هي عاقبة عدم الشكر، وأراد أن يوقع بالإنسان في نفس العاقبة.

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ١٦ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٧]

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]

وأختم بمن لا يستطيع قلمي إلا أن يذكرهم.. اليهود الذين كانت أكبر وأعظم خطيئة لهم هي الجحود وعدم شكر الله -تعالى-.. فخافوا من فرعون وجنوده أكثر من خوفهم من الله، وطلبوا من سيدنا موسى أن يجعل لهم إلهًا كأصنام القوم الضالين، فأخبرهم سيدنا موسى -عليه السلام- أنهم إذا صدقوا نيتهم وقلوبهم لله وشكروه على فضله ونعمه يفلحون، وإن يجحدوا ولا يصدقوا يحل عليهم غضب الله وعذابه، حتى وإن أهلك الله فرعون!

وهذا ما قد كان.. فأفعالهم السوداء وعدم شكرهم لله هو ما دفعهم لغضب الله وعذابه، فإن كانوا أخلصوا النية لله لذاقوا نعيم الله ورحمته.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)﴾ [الأعراف: ١٢٨-١٢٩]

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٦-٧]

﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (٨٠) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (٨١)﴾ [طه: ٨٠-٨١]

أنت من تُضيء العالم حولك، وتدخل نفسك في رحمة الله.. كل هذ بأفعالك أنت وحدك، وباختيارك وشكرك لله.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]

فالشكر لله هو كل ما يُرضي الله فعلًا وقولًا، والبعد عن كل ما يغضب الله فعلًا وقولًا، ولن يحدث ذلك إلا بذكر الله دائمً،ا فكيف تشكر من تنساه..

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧)﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧]

لاحظ قوله «نقيض»، أي أن التقييض يحدث بأمر الله، فحتى الشياطين مُسخرون لأوامر الله -تعالى-، ولا يخرجون عن أوامره ومشيئته، فأنت من تفتح أبواب رحمة الله أو عذابه، وقلبك هو المفتاح، لا أحد غيرك..

أنت لست كعروس الماريونت، فأنت تملك حرية الاختيار بين الشكر والجحود.. عرائس الماريونت هم من مشوا مُغمضي الأعين في طريق الجحود، وأُملي عليهم.. عرائس الماريونت هم من يقدم بهم الشيطان عرضًا كُتب لك في كتاب الله من ١٤٠٠ عام، ولا يستطيعون تغييره أو إضافة أي فصول أخرى فيه..

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨)﴾ [الأنعام: ١٧-١٨]

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠]

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]

فأنت من تختار أن تدخل حظيرة الشيطان وتكون من أنعامه، أو تكون عبدًا مكرمًا شاكرًا لله..

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]

عداوة الحق

هذه هي الخطوة الأخيرة للإنسان مع الشيطان، أن يجعله يحيد عن الحق ويعاديه، ويُعادي كل من يتبع الحق، ويفرق بين أهل الحق أنفسهم.

إبليس يعلم أن الله هو الحق، وأن كل ما دونه هو باطل، فهو لا ينكر الحق أبدًا، فقد كان من أعبد أهل السماء رغم سواد قلبه، لأنه كان يعلم أنه لا منجى من الله إلا إليه، وأن من يعادي الله هالك، وأنه هالك لأنه اعترض على أمر الله، فهو يسعى إلى تزيين الباطل في قلوب البشر، وتشويه الحق، لأنه يعلم أن الحق إذا دخل قلوب البشر فلن يكون له عليهم سلطان، لذلك هو يغرقهم في الباطل كي لا يروا الحق..

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨]

وهناك مسلكان يسلكهما الشيطان من أجل إخفاء وضياع الحق بين الناس..

المسلك الأول هو محاربة الحق من كارهيه، ومحاولة القضاء على أهل الحق..

المسلك الثاني هو محاربة الحق ممن يدعون أنفسهم من أهله، وهذا أخطر بكثير..

محاربة الحق من كارهيه:

منذ خُلق آدم وطُرد إبليس من رحمة الله وهو يسعى بنفسه لطرد الحق من قلب آدم وحواء بشتى الطرق، حتى أغوى آدم بالأكل من الشجرة، وهبطوا إلى الأرض جميعًا.. ثم أنجب آدم وحواء، وبدأ إبليس أيضًا في محاولة إغراق أبنائهم في الباطل، حتى نجح مع قابيل..

ومن تلك اللحظة بدأت المشاركة في محاربة الحق وأهله بين شياطين الإنس والجن، حيث كانت بداية أهل الضلال من الإنس على يد قابيل وذريته..

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩]

فبداية معاداة الإنسان للحق لم تكن بسبب عدم اقتناع، أو لأنه يمتلك وجهة نظر أخرى، أو لأنه يرى الحق في غير حق السماء.. بل العداوة بدأت بسبب الكره، ولا شيء غيره.

كراهية إبليس وحقده على الإنسان هي ما دفعته لمحاربة الحق، لأنه يرى أن الحق أضاع عليه مكانته وطموحه، وكراهية وحقد قابيل على أخيه هي ما جعلته ينهزم أمام إبليس ويصبح تابعًا له، فالأساس هو الكراهية.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨]

فأساس معاداة الحق ليست إلا من الكره والحقد في قلب المعادي، لأنه يريد دائمًا ما لا يستحق، ويريد ما ليس حقه، فهو يكره الحق لأنه يمنعه مما يريد بدون أن يكن له أي حق فيما يريد... فمنذ أن بعث الله الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين، كان هناك دائمًا أعداؤهم أعداء الحق من الإنس والجن..

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤]

وهذا الكره ناتج عن:

- الكبر الذي يأتي كما قلنا من الزينة والرفاهية من حولهم، فكيف يتبعون من هو أقل منهم مالًا وزينة؟! كيف يتبعون من اتبعه صغار القوم؟! وكيف يعذبون وهم الأكثر مالًا وولدًا؟!

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥]

- والطمع الذي يكمن في حب الامتلاك وسيطرة شهواتهم عليهم، فهم يريدون كل شيء.. لا يريدون أن يمنعهم شيء عن أي شيء، فقد زين لهم الشيطان كل ما حولهم من متع، فهم لا يريدون إلا المزيد من الشهوات التي أغرقهم فيها الشيطان..

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]

فالشيطان زرع في قلوبهم الكبر والحقد والكره والطمع الذي كان يريد أن يملك به كل شيء، ليحصد في النهاية عداءهم للحق وإهلاكهم لأنفسهم..

﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠]

فنرى دائمًا العداء للأنبياء والرسل ينبع من تلك الحفر الشيطانية الملعونة، فنرى قوم سيدنا إبراهيم يعترفون بظلمهم، ولكن يرفضون الحق، ويحاولون إخفاءه وحرقه، وكذلك كان ملكهم النمرود.. وترى اليهود يعرفون أنبياءهم وكلام ربهم كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم يقتلونهم ويكذبون كلام الله، لأنه يأتي بما لا تهوى أنفسهم وقلوبهم الملعونة المغضوب عليها، التي تشتهي السلطة والمال والذهب..

وترى قوم الرسول الكريم سيدنا محمد -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- يعترفون له بالحق والأمانة، ولكن يرفضون ما يجعلهم يتساوون هم والعبيد.. يرفضون أن يكون الرسول محمد -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- الأقل منهم مالًا وولدًا، وهو الإمام والزعيم..

وحتى يومنا هذا ومحاربة الحق مستمرة من أجل السلطة والمال والشهوات وإغراق الناس في الظلام... فترى من تتعلم وتعتمد على شخصيتها وعقلها وعفتها لا جسدها تُهاجم، ولكن من تتعرى وتنشر ثقافة الجسد تمتلك حق الحرية الشخصية.. حتى العاهرات اليوم أصحاب الرذيلة واللاتي يتسببن في انتشار الأوبئة وقضايا النسب، هؤلاء أيضًا لهم نفس التصريح..

وترى من يسعى لنشر كلام الله والحق والفضيلة متجاوزًا، ويسعى لنشر العنصرية والفتنة، بينما من يؤيد الرذيلة والشذوذ واللا أخلاقيات مفكر ومستشرق!!

وترى من يُقاتل من أجل الحق والعدل وإرجاع الأرض لأصحابها إرهابيًّا وهمجيًّا، بينما من يغتصب الأرض ويهتك العرض متحضر وسياسي بارز، حتى لو وصل الأمر إلى إبادة عرقية كاملة كما فعل العم سام (حتى هتلر لم ولن تسمع أنه قيل عنه إرهابي.. تخيل!!)

وترى تخويف الناس من نور الله والحق الذي نزله الله، فنرى ما يُسمى بالإسلاموفوبيا، وفي الحقيقة هي التوحيدوفوبيا، فأعداء الحق وعلى رأسهم أميرهم إبليس يريدون أن يحرفوا وحدانية الله الواحد الحق، الذي ليس له كفو أحد، فنجد أنهم بعد أن فعلوا هذا في اليهودية والمسيحية، يسعون اليوم لتحقيق نفس الهدف في الإسلام!

لذلك تراهم لا يلقون بالًا لمن يعبد البقر والحجر، وأغرب من ذلك في القرن ٢١، فتلك حرية شخصية، ولا تجد من يلعب بعقله كي يرده عما يفعل، ولكن من يوحِّد الله هو الخطر.. هنا تكمن الفوبيا، وتبدأ المعادة وصرف الناس عنه بشتى الطرق، كما فعل سانتا كلوز (سانت نيكولاس) مع أريوس الذي كان يدعو للتوحيد.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١)﴾ [المؤمنون: ٧٠-٧١]

وفي الحقيقة هم لا يحاربون ولا يهلكون إلا أنفسهم، فهم من وجد فيهم الشيطان الضعف الذي يستطيع أن يسيطر عليه بمغرياته وسمومه، كي يدفعهم لإضلال الناس ومحاربة الحق، كصانع العرائس الذي يضع القطن في العرائس كي تكون بالشكل الذي يريده، وتقوم بعرض من تصميمه وإخراجه.. ولكن هذا العرض له دائمًا معارضون ومنتقدون، مما دفع المخرج لإضافة بعض الأحداث التي تجعل العرض أكثر إثارة وتجذب جماهير أكثر وتقلل المعارضين وتؤدي إلى نفس النهاية.. إضلال الناس.

وللأسف كانت النسخة المعدلة الأكثر إثارة ونجاحًا وإبهارًا وأقوى تأثيرًا في القلوب، كانت نسخة محاربة الحق من داخل أهله..

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦]

محاربة الحق من داخل أهله (النفاق):

وهنا تحدث المفارقة، أو ما يُسمى بـ«التويست»، فمن تأمن جانبه وتثق في كلامه وعلمه، يكن هو الجاني المضل، وأخطر شخص عليك.

"قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ٢٨" سورة الصافات

فخرج من قوم موسى من صنع العجل ومن عبده وحرف الكتاب، وخرج من حواريي عيسى الثالوث، وخرج من بين أتباع الرسول -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- الفتنة والاقتتال.

هذه النقطة أخطر بكثير من النقطة السابقة.. فما أخطر من أن يكون الصديق هو العدو...

وأخطر من هذا هو أنه يعطي انطباعًا كارثيًّا خطيرًا عن الحق وأهله، فهو محسوب منهم وعليهم كما تفعل العصابات التي يكسوها الشيطان بمظهر التوحيد لسفك دماء الناس باسم الله.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤]

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩)﴾ [البقرة: ٨-٩]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصف: ٧]

هذا النوع من المحاربة يعبث في قالب الحق، فعداء الحق من خارجه بسبب أن هناك قلوبًا سوداء لا تريد الخير والعدل بين الناس، فتريد أن تطفئ نور الله الذي أنزله

لعباده، كي تبقى هي المتحكمة في كل شيء، فكل هدفهم هو إخفاء الحق عن الناس والقضاء عليه، وهذا يزيد أهل الحق قوة في الدفاع عن الحق ونشره بما يرضي الله.. أما محاربة الحق من داخل أهله فهو يقوم بتشويه الحق في عيون الناس، فهذا يضعف الحق في القلوب، ويبعد الناس عنه، ولا ترى فيه النور الذي يهديهم.

وهذا ما حدث عندما اتبع الحواريون فتنة اليهودي «شاول»، أو من يُسمى ببولس الرسول، وأنصار الثالوث. انظر كيف أصبح الدين في نظر المجتمع، وتحديدًا الكنيسة.. أصبحت سبب التأخر العلمي والتخلف والحروب، كما كان في الحملات الصليبية.. وانقسم أتباع الدين الواحد والنبي الواحد إلى أشياع وفرق.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤]

وهذا ما حدث عندما فُتن أصحاب الرسول الكريم بفتنة عبد الله بن سبأ اليهودي!! فانظر كيف أصبح الخلفاء والخلافة في نظر الناس بعد انتهاء عصر الخلافة الراشدة.. وكانت أيضًا التفرقة بين أبناء الدين الواحد؛ سنة وشيعة وغيرهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]

وأول من شوه الحق في أعين الناس كي يصرفهم عنه كانوا اليهود. وكيف لا وهم أول من نافق، وأخذوا بعض كلام الله، وأعرضوا عن بعض، وهم من أخفى العلم والحق عن الناس، وهم من لا يريدون الخير للبشرية أجمع.. فلو كانوا يريدون خيرًا لأحد غيرهم ما أخفوا الحقَّ، ولدعوا الناس لدينهم كما فعل ويفعل المسلمون والنصارى.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦)﴾ [البقرة: ٧٥-٧٦]

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤]

وإلى يومنا هذا وعرائس إبليس تقوم بالعرضين معًا؛ محاربة الحق من الخارج، والعرض الأخطر محاربة الحق ممن يدعون أنهم أهله..

لن أخوض في تفاصيل هذه العروض، فهي في يومنا هذا واضحة وضوح الشمس في كبد السماء، ولكن ما يهم هو محاولة إفشال هذه العروض وعدم إنجاحها، وهذا لم ولن يحدث أبدًا إلا إذا كنت تمتلك عروضًا أقوى وأكثر مصداقية.. فلن يترك الإنسان شيئًا إلا من أجل ما هو أفضل منه، وانتبه جيدًا أن كلامك الكثير على شيء يلفت انتباه الناس إليه.. أي أن بكلامك الكثير عن أهل الباطل وعن المنافقين وأفعالهم وأقوالهم يلفت النظر والتركيز إليهم وما يقدمونه، وليست كل القلوب واحدة، فهناك من يسمع وينكر، وهناك من يسمع ويُفكر، وهناك من يسمع ويعجبه القول ويعمل به.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧]

واعلم أن عرائس إبليس تتألف بين بعضها وتتقارب، فترى عرائس إبليس المنافقين بين أهل الحق تميل دائمًا لعرائس إبليس من أهل الباطل، ويروج كلٌّ منهم للآخر.

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩]

فرسول الله -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- لم يشغل بال أصحابه بالمنافقين إلا في الصلاة عليهم بعد الموت، لذلك سجل الرسول الكريم -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- أسماءهم كي لا يصلي أحد عليهم عندما يموتون... وكذلك فعل صحابة رسولنا الكريم، فكان سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول: "أميتوا الباطل بالسكوت عنه"... ولكن اهتم الرسول الكريم -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- بتقوية قلوب أصحابه بالإيمان، وبتقوية دولتهم، وزيادة علمهم وتجميل أخلاقهم، وهذا ما كان يُرعب المنافقين ويجعلهم دائمًا في جحورهم..

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]

واعلم أن رسول الله -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- كان يعرف المنافقين اسمًا اسمًا، ورغم ذلك لم يقتلهم أو يحبسهم، فإن تشعر عدوك أن جبهتك متحدة فهذا يثير ارتعابه، وأن تواجه كل ألاعيبه بثبات وثقة وإيمان يُخيفه أكثر..

وتذكر دائمًا أن هدف إبليس من محاربة الحق بمختلف الصور هو السيطرة على قلبك وإخراج الحق منه، فإ وجد أن هذا لا يحدث يغضب غضبًا شديدًا..

لذلك حافظ دائمًا على تقوية قلبك بالحق، ولا تلتفت لعروض إبليس أبدًا، فالقلوب تتقلب، وعروض إبليس لا تنتهي إلا بقدوم الساعة..

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥]

هل تعلم لمَ تجرأ المنافقون اليوم، وخرج علينا المزيد من عرائس إبليس من بيننا؟!

هذا بسبب أن المنافق ينافقك ما دمتَ قويًّا، ولكن عندما يتملك الضعف منك يتحول هذا المنافق إلى كلبٍ ينهش فيك، فلا أحد ينافق الضعيف.. لا يُنافَق إلا القوي.

هذا هو من يعاديك في الدنيا لتخسر الآخرة.. هذا هو من يسعى ليلًا ونهارًا دون أن تغمض عينه، من أجل أن يجعلك تصل للضعف والوحدة.. فهو من يعطيك المبرر لما تفعل من أخطاء من أجل غايتك، ويُغرقك في المتع والزينة والشهوات، ويمنحك سر وطريقة عمل كل شيء من منظور الصدفة، ويلغي من قلبك الشكر والتقوى، ويشجعك على التخلص من حق الله عليك.. فتصل إلى النهاية التي وصل هو لها قبلك، ويعرفها جيدًا، ويعرف أنه لا يوجد طريق للعودة منها.. الكِبر، تلك الخطوة التي تقع فيها ببطء، ولا تشعر إلا وأنت في القاع لا تستطيع الخروج، وتصرخ ولا يسمعك أحد، ومن سيسمعك ويرحمك بعد أن طُردت من رحمة الله!!

وهذه هي خطوات الشيطان التي حذرنا منها الله -تعالى- ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]

ولكن هل معنى ذلك أن هذا العدو هو المبرر لما نحن فيه من ضياع؟! لا.. فهذا العدو كان دائمًا موجودًا بكراهيته وحقده.. الخطأ منك أنت، فهو أضعف منك، ولا يملك حرية الاختيار مثلك، كل ما يفعله هو تشجيع هواك، وقد حذرنا الله -تعالى- ورسوله الكريم -صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ- من اتباع الهوى، فلو كان الشيطان يأتي لك بما ليس على هواك لكرهته وكرهت وسوسته، ولكان مثل البعوض تحاول التخلص منه بأي طريقة ووسيلة.

ولكنه يأتي لك بما تحب أن تسمع، وبما تعتقد أنه الحل والتفسير، فهو يأتي بنفس صوت الهوى الذي يضل صاحبه، كما أضل إبليس نفسه من قبل.. لذلك هو بارع في تقليد هذا الصوت لأنه سمعه كثيرا.

فالضعف منك، والشر منك، والظلم منك، والتكاسل والتخاذل منك، فلا تلُم إلا نفسك، فالشيطان ضعيف، وخططه مكشوفة، ولا يقدر على شيء إلا تشجيع هواك، أنت من تقدر ومن تختار ومن تقرر.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]

نَعيبُ زَمانَنا وَالعَيبُ فينا ... وَما لِزَماننا عَيبٌ سِوانا

وَنَهجو ذا الزَّمانِ بِغَيرِ ذَنبٍ ... وَلَو نَطَقَ الزَّمانُ لَنا هَجانا

وَلَيسَ الذِّئبُ يَأكُلُ لَحمَ ذِئبٍ ... وَيَأكُلُ بَعضُنا بَعضًا عَيانا

وهنا أنهى أحدهم كلامه، ولم أعرف ما أقول، إلا شيئًا واحدًا من كان المتحدث لي.. من كان أحدهم؟

فكانت الإجابة الصادمة!

أنا الضمير.. الفطرة السليمة التي بداخل كل إنسان خلقه الله.. الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

فكل إنسان شهد أمام الله بوحدانيته، وأنه الخالق رب العالمين ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

فمن يعادِ وحدانية الله، ويحاول إنكارها مرارًا وتكرارًا هو في الحقيقة يحاول إسكات صوت الحق بداخله، وإعلاء صوت الهوى.. لذلك تراه يعادي الحق دون أن يعرفه أو يضره الحق بشيء، لأنه في الحقيقة يعادي صوت الفطرة السليمة بداخله.

وتذكر دائمًا أن أول كلمة نزلت من القرآن كانت «اقرأ»، كي تعرف وتتعلم وتفهم وتهتدي قبل أن ينتهي الوقت.. وتذكر أن آخر ما قاله وأنزله الله -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- رب السماوات والأرض، رب كل شيء، هو التحذير من نهاية الوقت بدون الوصول إلى الحقيقة.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]

المصادر

- Franz J.Kallmann "ComparativeTwin study on the genetic Aspects of Male Homesexuality "Journal of Nervous and mental disease 115;no.4(1952):283_298
- Edward Stein; The Mismeasure of Desire: The Science.Theory And Ethics of Sexual Orientation (New york: Oxford University Press 1999);145.
- Neil E.Whitehead ; Neither Genses nor Choice: Same-Sex Attraction Is Mostly a Unique Reaction to Environmental Factors Neil E.Whitehead sociological Studies Show Social Factors Produce Adult.
- The New Atlantis: Sexuality and Gender Findings from the Biological Psychological and Social Sciences. BY Lawrences S.Mayer & Paul R.McHugh.
- E.M.Drabant et al;"Genome-Wide Association Study of Sexual Orientation in a Large Web-based Cohort"23andMe;Inc Mountain View.Calif(٢٠١٢).
- Homosexuality ' may be triggered by environment after birth'

- CHARLESTON ' SC:Dr.Paul McHugh : "There Is No Gay Gene"
- Sexual oriantation & Homosexuality.
- Identical twin studies prove homosexuality is not genetic
- Hormones and Sexual Orientation : A Questionable Link
- LaVay S (1991) . A difference in hypothalamic structure between homosexual and heterosexual men .science 253'1034-1037.
- FROM THE MARCH 1994 ISSUE-Sex and the Brain
- Sexual Experince May affect Brain Structure- by McBroom
- Sex on the brain - S.Marc Breedlove
- A Lack of dimorphism of sex or sexual orientation in the human anterior commissure.
- The Brain that Changes Itself
- The Brain : Malleable ' Cpable ' Vulnerable-By ABIGAIL ZUGER' M.D
- CHILDREN OF HOMOSEXUALS AND TRANSSEXUALS MORE APT TO BE HOMOSEXUAL

- كتاب أبو بكر الخوارزمى حياته وأدبه "محمود صالح الضمور"
- كتاب أشهر العلماء فى التاريخ ٨ علم اعلام الطب ابن سينا
- كتاب أشهر العلماء فى التاريخ ٤ عبقرى علم الرياضيات الخوارزمى
- كتاب علماء العرب الخوارزمى تأليف سليمان فياض

- THE Haunting " Human Zoo" of Paris By MESSYNESSY MARCH 2.2012
- AL-Khwarizmi.
- who is khwarizmi?
- Ibn Sina (Avicenna): The Princeت ب أ "
- Muhammad Afridi (2018) CONTRIBUANTIO OF MUSLIM SCIENTISTS TO THE WORLD :AN OVERVIEW OF SOME SLECTED FIELDS
- Muhammad Afridi (2013) contribuation of muslim scientists to the world
- Muslim scientists of the Islamic Golden Age

- خواطر الشعراوى
- العالمانية أصل الارهاب والاستبداد الحديث للكاتب ممدوح الشيخ
- الموسوعة العلوم ناشونال جيوغرافيك
- وهناك مصادر اخرى تم ذكرها مع مواضيع الكتاب

المحتويات

مقدمة ٧

الاستفسار الأول.. يا... الله ٩

الاستفسار الثاني اقرأوا... القرآن ٣٣

القاعدة الأولى: القرآن منبع العلم..... ٣٥

القاعدة الثانية: القرآن منارة التاريخ..... ٥٧

القاعدة الثالثة: القرآن نور الدين..... ٦٩

القاعدة الرابعة: القرآن منارة الإنسانية ٨٣

الاستفسار الثالث أنا... والشيطان... وهواك! ٩٧

خطوات الشيطان ١٠٦

أولًا الإغواء بالمحرمات: ١٠٦

الترف والتزين في الأرض:..... ١١٥

تغيير خلق الله:..... ١٣١

تغيير صورة الأرض..... ١٤٥

عدم شكر الله ١٧٩

عداوة الحق ١٨٨

المصادر ٢٠٠